ضيف العدد(*)

عبدالله سالم باوزير

السيرة الذاتية

- تاريخ الميلاد : الثامن من ذي الحجة، 1357هـ/ 30 مارس 1938.
- مكان الميلاد: غيل باوزير/ محافظة حضرموت. الجمهورية اليمنية.
- المؤهل الدراسي: المرحلة المتوسطة/ المعهد الديني.
- نشر أول قصة في صحيفة الطليعة بالمكلا/ حضرموت في ديسمبر 1961.
- عضو اتحاد الأدباء والكاب اليمنيين.
- توفي يوم الأربعاء 22 شعبان 1425/6 أكتوبر 2004.
- مجموعاته القصصية:

- الرمال الذهبية (1965)، الطبعة الثانية (1982) (قصص ومسرحيات)
- ثورة البركان (1968)، الطبعة الثانية (1983)
- سفينة نوح (1981)

- الحذاء (1987)
- سقوط طائر الخشب (1991)
- محاولة اغتيال حلم (1999)

● من كتبه الأخرى:

- يا طالع الفضاء (1995)
- أيام في بومباي (1998) (في أدب الرحلات)
- استعادة الزمن المفقود (2003) (سيرة ذاتية)
- حمقاء لكن ظرفاء.
- ديش وغداء مافيش.

● إهداء مجموعة «ثورة البركان»:

إلى مفخرة بلادي

إلى شهداء الحرية.. وشهداء معركة المصير

إلى من بذلوا دماءهم ثمناً لحريتا وكرامتنا

إلى كل شهيد سقط في معركة الشرف والكرامة

إلى كل هؤلاء أهدي بكل «تواضع» كتيبي هذا

ذكرى لأيام سوداء ساهموا في تنويرها..

ظلام دامس أضاؤوه لنا بدمائهم الزكية

عبدالله سالم باوزير

شـهادات
(1)

باوزير الراحل

رحل عن هذه الدار الفانية إلى دار البقاء والخلود الأستاذ المبدع عبدالله سالم باوزير، الذي، على الرغم من الفقر الشديد والأمراض المختلفة التي كان يعاني منهابصمت، ظل إلى يوم الأربعاء 2004/10/6 يواصل عطاءه الإبداعي باقتدار. فهو منذ نهاية الخمسينات من القرن الماضي استمر في كتابة القصة القصيرة والمسرحية وأدب الرحلات والسيرة الذاتية والمقالات.

ويبدو لي أن سر مواصلة عبدالله سالم باوزير للكتابة على الرغم من المصاعب الجمة التي كانت تواجهه يكمن في افتتانه بفن القص. فلا شك أن رغبته في القص هي التي دفعته إلى الكتابة. فهو، بالإضافة إلى إتقان لغة

القص العربية كما تجلت في كتاب (ألف ليلة وليلة) وكتابات محمود تيمور ويحيى حقي ويوسف إدريس، استطاع أن يتقن الوصف وتصوير المشاهد بدقة تضاهي دقة كبار القاصين والروائين الواقعيين، وكذلك رسم الشخصيات من خلال التركيز على أهم ملامحها الخارجية. ومنذ مجموعته الأولى استطاع باوزير أن يربط البناء السردي بفن المفارقة أو السخرية التي تتزامن في كثير من قصصه مع لحظة التنوير، والتي توقف عندها معظم الدراسات القليلة المكرسة لباوزير. فقصص باوزير القصيرة، على الرغم من نضجها وقراءتها من قبل القاصين اليمنيين وتأثيرها في كتابات عدد منهم (انظر مثلاً العلاقة بين قصة «بائعة الخمير» في مجموعة (الرمال الذهبية 1965) ورواية (يموتون غرباء 1972) لمحمد عبدالولي)، لم تحظ باهتمام النقاد لاسيما اليمنيين.

وبالنسبة لمسيرة حياته التي بدأها في غيل باوزير في نهاية الثلاثينات من القرن الماضي فقد سردها في سيرته الذاتية التي لم يظهر بعد إلا جزؤها الأول بعنوان: (استعادة الزمن المفقود 2003). في هذا النص الرائد في الأدب العربي في اليمن يشعرنا عبدالله سالم باوزير أن

تميزه وتفرده اللذين يبرران إقدامه على نشر سيرته الذاتية يكمنان أساساً في كونه قاصاً. لهذا فهو يكرس الجزء الأكبر من نصه لعرض المكونات التي أسهمت في دفعه تجاه الكتابة القصصية. فهو يركز على رصد العناصر التي خلقت لديه حب فن القص ونمته وأصلته. فيذكر أنه في أول مدرسة التحق بها في غيل باوزير (مدرسة الحصن) لم يجذب انتباهه إلا «أستاذ فاضل» كان يروي للتلاميذ كثيراً من الحكايات والأساطير تحت شجرة بيدان ضخمة. وليس من الغرب أن يحظى المؤرخ سعيد عوض باوزير باهتمام كبير في كتاب (استعادة الزمن المفقود). فلهذا الخال - وتحديداً لمكتبته - دور استثنائي في تربية القاص عبدالله سالم باوزير وغرس حب القراءة فيه حينما كان طفلاً. فهو يعترف: «كان لمكتبة خالي المؤرخ سعيد عوض باوزير الدور الرئيس في تعلقي بالقراءة؛ فقد كانت تلك المكتبة تحتوي على العديد من الكتب المتنوعة وعدد من المجلات والصحف العربية التي كانت تصل إليه بانتظام على الرغم من صعوبة المواصلات في تلك الفترة» ففي تلك المكتبة قرأ باوزير الصحف والمجلات مثل (سندباد وآخر ساعة والهلال) وعدداً من كبيراً من الكتب مثل سلسلة كامل كيلاني والإبراشي للأطفال،

وكذلك كتاب ألف ليلة وليلة، وسلسلة أرسين لوبين وروايات جرجي زيدان وبعض الروايات الأجنبية المترجمة التي تنشر في سلسلة روايات الهلال. وفي الفصل الثامن عشر يشير عبدالله باوزير أنه بعد وصوله مباشرة إلى عدن في منتصف الخمسينات من القرن الماضي توطدت علاقته بمكتبة البلدية (ليك) التي كانت تضم كثيراً من الكتب العربية الأجنبية المترجمة، ويؤكد أنه قرأ فيها «كل مؤلفات الكاتب الأمريكي أرنست همنجواي إلى جانب كتاب من فرنسا مثل موباسان وفيكتور هوجو. ومن بريطانيا تعرف على سومرست موم وبرنارد شو وغيرهم». ويذكر باوزير كذلك أن من أهم الروافد التي أسهمت في تكوينه الثقافي والأدبي النشاط المسرحي الذي كانت تنظمه المدرسة الوسطى بالغيل حينما كان الطفل باوزير في عامه الدراسي الثاني. ففي هذه المدرسة شاهد عروضاً لمسرحيات محلية ومسرحيات من روائع الأدب العالمي مثل مسرحيتي (عطيل) و(هاملت) لشكسبير، ومسرحية (أوديب) لسوفوكليس.

وقد اعتمد عبدالله باسم باوزير في كتابة سيرته الذاتية (استعادة الزمن المفقود) على أسلوب نثري سردي، لا يختلف كثيراً عن الأسلوب الذي استخدمه في

مجموعاته القصصية وفي كتابه (رحلة إلى بومبي) وكتبه الأخرى. ومن الواضح أن تلك الأبعاد السردية التي تبرز في معظم فصول هذه السيرة الذاتية تجعلها أشبه بحكاية تمتد في عدد من الفصول.

وفي صيف هذا العام حمل باوزير أوراقه وأمراضه وإبره ووعوداً من وزير الثقافة ورئيس الوزراء نفسه وذهب إلى صنعاء ليبيع بعض كتبه ويتابع (قصة المعاش الطويلة) لاسيما أنه أصبح غير قادر على رفد صحيفة 14 أكتوبر بالمقالات التي كان يستلم مقابلها عشرة آلاف ريال هي دخله الشهري الوحيد. وهناك في صنعاء سقط أرضاً ودخل المستشفى وعاد بخفي حنين. وفي شهر يوليو الماضي ذهبت مع بعض الزملاء لزيارته في شقته المتواضعة بحي الزعفران في كريتر وأخبرنا أن الأستاذ الدكتور يحيى الشعيبي محافظ عدن قد زاره وحدد له إعانة شهرية مقدارها خمسة عشر ألف ريال. لكنه كان، رحمه الله، قلقاً على مصير زوجته وبنته اللتين كان هو معيلهن الوحيد.

د. مسعود عمشوش

شـهادات
(2)

البـدء

عبدالله باوزير كاتب ذاق الأمرين، وعضّه الدهر بنابه، وزرع في طريق حياته الأشواك والمتاعب، ولم يكن من أولئك الذين خلقوا وفي فمهم ملعقة من ذهب.

وزّع حياته بين موظف بسيط في حضرموت، ومهاجر في عدن، يبحث في الأخيرة عما يسد أوده ومن حمله الدهر مسؤولية إعالتهم.

ولم يكن عبدالله باوزير من أتموا تعليمهم، أو أكملوا دراساتهم، إذ إنه التحق بالمعهد الديني ببلدة (غيل باوزير، حضرموت) وانتهى من دراسته هذه عندما بلغ السادسة عشرة من عمره. انتهى من تلك المرحلة المتوسطة

ليجد نفسه العائل الوحيد لعائلته بعد أن أقعد المرض أباه. ولم يجد بداً من أن يقرع باب الهجرة ونفسه توّاقة للعلم.. تواقة للمعرفة. وانخرط في خضم الحياة العملية يلطم أمواجها، فلا تكاد تأخذه موجة إلى الشاطئ، حتى تأتي أخرى فتعيده حيث كان.. ذلك لأنه لم يكن متسلحاً بسلاح العلم، ولم يكن مزوداً إلا بقدر ضئيل من التعليم لم يؤهله إلا للأعمال الشاقة المضنية. فعمل في محلات كثيرة، وذات ألواناً من الإجهاد الجسماني والفكري، ولكنه برغم هذا كله كان دؤوباً على الاطلاع على الإنتاج الأدبي، وكان الكتاب لا يفارقه قط، ويوسع مداركه المغلقة، بل كانت أحلى أوقاته هي تلك اللحظات التي يخلو بها مع قصة أو مسرحية يشبع بها رغبته الجامحة، ويوسع مداركه المغلقة. وبفضل هذه المطالعات الكثيرة أخذ ذهنه يتفتح حتى أصبح في مقدوره أن يعبر عما يختلج في نفسه، فكتب أول قصة أرسلها إلى صحفة «الطليعة» الحضرمية، ونشرت باسم مستعار هو (عبده). ولم يكن يعرف قبل أن تنشر هل هي صالحة للنشر أم لا. ونشرت القصة وكانت بداية انطلاقة دفعته إلى أن يكتب القصة تلو القصة والمسرحية تلو الأخرى.

واحتلت قصصه ومسرحياته المساحات الواسعة في صحيفة «الطليعة» الحضرمية بصورة خاصة وفي الصحف المدنية اليومية منها والأسبوعية بصورة عامة.

علي محمد الصبان

(3)

الرومانسي

عبدالله سالم باوزير نموذج لتركيبة الفنان، الذي يتخفى وراء أعماله فيحميها من الملل، إنه خبير بنفسية القارئ وينوع أمامه حين يحس أن الموقف يحتاج إلى جديد، حتى في قصصه السياسية تبدو خفة روحه، فالموضوع السياسي والذي يعرضه غيره بصورة زاعقة ومثيرة، يتنوع عنده وتطلفه مواقف فنية فقصته «ثورة البركان» تتخذ طابعاً شعبياً إذ يجلس القاص في عصر كل يوم من رمضان ويتحلق حوله الناس ويقص عليهم أخبار تلك الثورة وقصته «سلام كثير» تتعرض للتعنت الإنجليزي بطريقة فكهة، فقد أصيب بحكة في رأسه جعلته يضطر لرفع يده كل حين، وكان الناس في الطريق

يظنونه يلقي التحية، فيرفعون أيديهم للسلام، وكان يتلقى «سلام كثير» وفي يوم اعتقله الإنجليز، لقد ظنوا أن له صلة بأحد الثوار الذي كان يلقي عليه السلام. وفي قصة الزائر أصيب بزكام شديد أصابه بالضيق، ويصف جو الضيق والملل في البحث عن طبيب، تمهيداً للقائه بدورية إنجليزية اعتقلته، فرأى أن يطلب عليهم ملايين الميكروبات التي تعشش في أنفه، فأخذ يعطس في وجوههم فاضطروا إلى إخلائه وقد التهبت عيونهم واحمرت أنوفهم.

إن الرمال في نظره تتحول إلى ذهب كما يوحي بذلك عنوان مجموعته الأولى، وهو عنوان دقيق ودال، إنه ليس

ولكن الـواقـع يحول دون ذلـك، إنـه فـي الخيـال والأحلام يحب بدون أمل ومن هنا كانت تلك الرومانسية صادقة وتدل على نفسية الكاتب المتعطشة إنها رومانسية الفنان التـي تعـطي دون أن تـنـتـظر شيئاً، إنـه فـي قصـة «لا تذكريني» يكتب لها رسالة ولا يبعثها لأنه يكتبها إرضاء لنفسه ورضوخاً لعواطفه لقد رآها مرة واحدة ثم علم أنها سافرت إلى لندن فأخذ يكتب الرسالة ولا ينتظر منها حتى مجرد أن تذكره، إنها نفسية الفنان التي تهب نفسها للناس وللعالم دون أن تنتظر شيئاً. وفي قصة «النافذة المفتوحة» تطل عيناه من النافذة في المساء والقمر يسطع في السماء والهدوء يشمل الحارة، ولقد اصطدمت عيناه بالنوافذ المغلقة تبحث عن النافذة المفتوحة ورغم أنه يكشف أنها مفتوحة لغيره فقد بدأت عيناه تبحثان من جديد بين النوافذ المغلقة عن حب جديد إنها نفسية الفنان التي تبحث عن الدفء ولا تستطيع أن تعيش بدون حب، وتدرك تأثير الأشياء الطيبة على النفوس، إن صديقه في قصة «الأشواك» كان أيام الدراسة متحمساً لكل شيء ثم رآه بعد أن تخرج فوجده

خايباً لا يهش لشيء، ولما ساعده في الوصول إلى نفسه جعله يغير عمله الذي لا يحبه، تغير الصديق وجعل يحدثه بانشراح في الأدب والسياسة والفن، وكذلك صديقه في قصة «الكافر» يحب حباً مخلصاً أودى به إلى المستشفى وحينما رأى أن هذا الإخلاص لا يقدر، كفر بالحب وعزم على أن يحب بالطريقة الحديثة المبنية على المصلحة والمادة ولكن روح الفنان عند المؤلف تدرك خطورة هذا الكفر فقد نظر في النافذة «كانت الشمس قد اختفت تماماً وكان الظلام قد أخذ يزحف على الكون زحفاً حثيثاً» وبتلك النهاية الموحية إشارة إلى قيمة الحب والذي بدونه يصبح الكون ظلاماً وشراً. إنه صادق في تعبيره ورومانسيته ومن هنا تنبه إلى أوصاف وصور بكر وإلى استخدام للطبيعة يعبر عن عاطفته لا تقليد ولا صور مستهلكة ولا كليشيهات مستخدمة كأن كل شيء قد خرج من المنسك تواً.

د. عبدالحميد إبراهيم

المبروك(*)

أخذ الناس في القرية يروون الأحداث والأعاجيب عن ذلك الشخص الذي لمع بسرعة بالغة في عالم الأرواح، فقد وصف بأن له يداً سحرية على الجن والعفاريت، فما من أحد في القرية ألمَّ به مكروه إلا وسارع إلى المبروك ليمسح عليه بيده السحرية التي هي يد من أيادي عفاريته الصالحين.. ثم أخذ صيته ينتقل من قرية إلى أخرى، وتوافد إليه العامة والسذج الذين أصبحوا يؤمنون به إيماناً شديداً بعد أن سمعوا عنه وعن معجزاته الخارقة، فهذا كسيح قام يمشي بفضله، وذاك أعمى أبصر، وهذا

زاعمين بأن تلك المعجزات لا تصدر إلا من شخص تقي صالح قد أعطاه الله قوة كبيرة من الجان وسلطهم لمشيئته، فقد انطبع في أذهانهم بعمّته الجليلة، ولحيته المهيبة، وقميصه الأبيض أنه من أولياء الله.

وفي ذات يوم أصبح الناس على حديث آخر غير حديث المبروك. فقد أخذوا يروون بأن عدة بيوت في القرية قد احتلتها العفاريت؛ وانتشر الرعب في القرية الآمنة، وراح الناس يتناقلون ويحكون القصص المفزعة عن الجان وأشباحهم، كما أثبت البعض منهم بأن بيوتهم قد امتلأت بالجان، مما يصعب عليهم السكنى فيها. ولم يكن لهم من منقذ ينقذهم من الجان سوى الشيخ المبروك، فهو بما أوتي من قوة روحية سوف يتغلب على هؤلاء العفاريت الأشرار، ووافق الجميع بأن المبروك سوف لا يمانع في أن يمد لهم يد العون، وهم في حالتهم تلك من الخوف والفزع، فلهذا اجتمع نفر منهم ودخلوا على المبروك في بيته وراحوا يقصون عليه ما وصلت إليه القرية من الخوف والفزع، وأنهم سيضطرون لإخلاء مساكنهم إذا لم ينقذهم من شر هؤلاء الجن، وتقدم إليه أكثر من واحد يحكي له كثيراً من الغرائب التي تحدث

في بيـته على مرأى ومسمع من أولاده الصغار، فالأواني تتقفاذف والجدران تهتز وأعمال أخرى تدخل الرعب على الأطفال والنساء.

وكان المبروك طول مدة حديثهم في صمت مطبق وقد جحظت عيناه، وأخذت شفتاه ترتعشان بكلمات مبهمة. ولكن ما أن انتهوا من حديثهم حتى انتصب فجأة ولمع في عينيه بريق مخيف وقال لهم:

- لقد حلت بهذه القرية لعنة الشيطان، إنني سوف أسارع لإنقاذكم من شر هؤلاء الجن ولكن ذلك يتطلب منكم الشيء الكثير..

وتطلعت إليه الأعين من كل صوب بنفاد صبر، ولكنه عاود حديثه قائلاً:

- إن مبلغ خمسمائة شلن عن كل واحل منكم نسلمها لهؤلاء الجان ليس بالشيء الكثير لكي تأمنوا على حياتكم وتعيشوا في بيوتكم آنين!.

وهالهم المبلغ الذي طلبه منهم المبروك، وأراد أحدهم أن يخبره بأنه ليس في استطاعتهم دفع ذلك المبلغ. ولكن

المبروك رفع إليهم يده ينهي المقابلة ليستقبل غيرهم وكأنه يقول لهم: «اختاروا لأنفسكم، بيوتكم أو المبلغ»!

انصرف القوم من عنده وقد أجمع البعض على هجر منازلهم إلى غيرها، إلا شخصين منهم كانا موسرين بعض الشيء عادا ودفعاله.

وفي هذا الظرف عاد أحد شباب القرية من الخارج، وقد كان غائباً عن قريته منذ مدة ولم يسمع عنها تلك الأخبار إلا حين وصوله، وهاله ما لمسه من الخوف والقلق عند أهل قريته، وآلمه أكثر إذ وجد بيته مقفلاً وأهله قد لجأوا إلى بيت قديم في أقصى القرية، إذ كان أبوه فقيراً فلم يستطع أن يدفع المبلغ للمبروك. وما أن جلس إلى أبيه ليسمع منه جلية الأمر حتى أخذ الأب يزين لابنه «سعيد» بأن يدفع للمبروك المبلغ الذي عجز هو عن تسليمه لكي يعودوا إلى بيتهم المهجور، ولكن الشاب «سعيد» لا يؤمن بالمبروك ولا بخرافاته فكيف يدفع لشخص مشعوذ ما ادخره في سنين عديدة؟ وكان رده لأبيه بأن أخبره بأنه سيعود حتماً إلى بيته ليريهم كذب ما يزعمون، وسرى خبره بالقرية وأخذ البعض يتندر

بشجاعته بينما أخذ البعض منهم يخافون عليه أن يأخذه الجن كما أخذوا من قبله.

وجاءت الساعة الرهيبة فقد جن الليل أو كاد ، وآوى كل سكان القرية إلى بيوتهم ما بين خائف وقلق.

وهناك في بيت مهجور وفي غرفة مطلة على الشارع، امتد الشاب سعيد على سرير في وسط الغرفة ولم ينس أن يغلق باب البيت بإحكام، كما ترك سراجه مضيئاً طوال الليل، وقد زايله النوم أول الليل إذ أحس بوحشة زادها سكون الليل رهبة. وأحس بالخوف يسري في نفسه وهو الذي يريد أن يثبت لأهل القرية كذب ما زعموا. فما عساه قد جرى الآن حتى يحس بهذا الخوف يتسرب إلى نفسه؟ ولكن لا عجب في ذلك فهو من أهل هذه القرية الذين نشأوا على الخوف منذ صغرهم، ولكنه يجب أن يتخلص من هذا الخوف. وبينما هو كذلك مستغرق في أفكاره إذ سمع صوتاً غريباً، فارتعد خوفاً، ولكنه ما أن أنصت إليه ملياً حتى عرف أنه صوت غنمة قد ضلت مأواها. واستعاد أنفاسه قليلاً وعاد يخاطب نفسه قائلاً: «كيف يصح لي أن أخاف ومصير هذه القرية كلها بين يدي، لا! يجب عليَّ أن أصمد لأبدد مخاوفهم

ولأقنعهم بأن ذلك ما هو إلا وهمٌ سلّطه عليهم المبروك لكي يسلبهم أموالهم». وعلى هذا الخاطر تشجع سعيد وأسلم جفنيه للنوم.

ومضى عليه وقت غير يسير ثم هب من نومه مذعوراً، إذ أحس بجلبة كبيرة داخل البيت، وكأن زلزالاً ألمّ به، فالأواني تتقاذف فيه، والأحجار تتخطى النوافذ لتستقر على رأسه. وما أن رفع يديه إلى رأسه حتى أعادها وهي مخضبة بالدماء، فاندفع في رعب إلى الباب ليفتحه حتى أحس بيد سوداء تنقض على رأس وكأن عصاً غليظة تلوح أمام ناظريه، فانقض فجأة على ذلك الشبح الأسود الذي أمامه وأنشب أظافره في عنقه دون أن يعي شيئاً. وهاله الشبح المخيف المنتصب أمامه فانتفض رعباً وتراجع إلى الخلف قليلاً، ولكن العصا كادت تهوي على رأسه، فاستجمع شجاعته وشدد الخناق حول رقبة ذلك الشبح ثم لكمه لكمة قوية أطاحت بالعطا من يده وانطرح بعدها الشبح على الأرض. وهنا تعجّب الشاب عندما لاحت له أصابه وقد صبغت بلون أسود، ولكن دهشته لم تدم طويلاً وذلك عندما اتجه ببصره إلى عنق ذلك الشبح، وقد ظهرت آثار أصابعه على رقبته

بيضاء من غير سوء، فعرف سعيد بأن ذلك الشبح لم يكن سوى شخص طلى جسمه الأبيض بسائل أسود، واستراح لاكتشافه الحقيقة، وبعد أن استعاد أنفاسه عاد إلى ذلك الجسم الملقى وانتشفه عن الأرض وهوى عليه يشبعه بقبضة يده لكماً قوياً إلى أن تهاوى ذلك الشخص من شدة الإعياء. وهنا سحبه ليتفرس فيه على ضوء المصباح، وهاله ما رأى! لم يكن ذلك الشخص الذي أمامه إلا المبروك وقد طلى جسمه الأبيض بالسواد، كما ارتدى ثياباً سوداء جعلت منه شبحاً مخيفاً في ظلمة الليل.

وفي هذه اللحظة كانت خيوط الفجر الأولى قد أخذت تتسرب إلى القرية لتبدد ظلمة الليل، وقد خرج الناس إلى المساجد يؤدون صلاة الفجر. وما أن انتشروا في القرية بعد الصلاة حتى صارت إليهم أخبار المبروك وهزيمته على يد الشاب سعيد، وظهرت لهم الحقيقة المرة جلية واضحة، لقد ضحك عليهم المبروك ووجد لحيله وألاعيبه في جهلهم مرتعاً، هكذا وصف أهل القرية أنفسهم ذلك اليوم.

وأشرقت الشمس يومذاك على القرية وسطع نورها

يملأ القرية طمأنينة وأمناً. لقد رحل المبروك عنها، رحل عنها صاغراً هارباً، فقد زحف كل أهل القرية صباح ذلك اليوم على بيته ونهبوا كل ما يملكه من نقود، لم تكن في الحقيقة إلا من ملكهم وكدِّ يمينهم.

* * *

نَـاصِـر(*)

الساعة الخامسة والنصف مساءً، والمدينة لازالت تقاسي من وطأة «حظر التجول» الذي فرضته بريطانيا على البلاد منذ أكثر من عشرين يوماً، وقد كانت كل الشوارع حينذاك تدفع الناس دفعاً إلى شارع الميدان - العصب الرئيسي للبلاد - وتمد إليه خطوطاً طويلة من السيارات ليس لها آخر. كان يعلو وجوههم جميعاً شعور واحد، شعور بالإذلال والعبودية، شعور بالقيود التي التفت حول رقابهم دون أن يستطيعوا الإفلات منها، وقد أخذوا يهرولون ليلحقوا قبل أن تحل الساعة السادسة بداية ميعاد حظر التجول الذي يمتد حتى الخامسة صباحاً. وهتف أحد المارة في تلك اللحظة قائلاً:

- «فطورك يا صايم».

*) من مجموعة ثورة البركان.

ولم يصحك أحد للنكتة، فالسجناء لا يضحكون.

وصاح آخر:

- «على البيوت يا حبايب أمهاتكم».

ورغم هذا التشهير إلا أن أحداً منهم لم يرد، لقد فقدوا كل القدرة على مقاومة الاستفزازات في مثل ذلك الوقت.

وبرز في تلك اللحظة من بين هؤلاء رجل قد ازداد وجهه شحوباً عنهم واصفر لونه وغارت عيناه وجعل ينظر في يأس وحيرة وألم إلى الخط الطويل من السيارات الذي امتد بجانبه وحديث طويل يدور في ذهنه: «لقد خرج من بيته قبل حوالي نصف ساعة يبحث عن سيارة تنقل زوجته التي تعاني من آلام الوضع إلى المستشفى، فقد فاجأها المخاض وهو لم يعمل أي ترتيب لذلك، ولو كانت الولادة عادية لتم كل شيء على مايرام ولما تجشم كل هذا العناء في البحث عن سيارة تنقلها إلى المستشفى في مثل هذا الوقت الذي صار كل شخص فيه لا يهتم إلا بنفسه فقط، ولا ينظر إلا في الدقائق الباقية من حريته، ولا يحس إلا بذلك الشعور الجاثم على

صدره، كل شخص مشغول، وقلق، وخائف، الشيء الذطي صعب عليه أن يجد في قلب أي شخص متسعاً لشرح مشكلته، لقد فقد الأمل قبل لحظات في أن يجد سيارة أجرة تنقل زوجته إلى المستشفى وهاهو الآن يكاد يفقد آخر أمل له في أن يجد بين هؤلاء من يقوم بتلك الخدمة له. هذا وزوجته تتألم في البيت، وأطفاله يصيحون قلقين على أمهم وهو أشد منهم قلقاً وليس أمامه سوى بضع دقائق سيطبق الموت بعدها على البلاد وسيستحيل عليه أن يخطو خطوة واحدة خارج منزله».

وخاطب للمرة الرابعة سائق إحدى السيارات التي وقفت بجانبه قائلاً له في توسل أشبه بالبكاء:

- «زوجتي.. زوجتي تموت في البيت، الولادة ستقضي عليها، وبيدك أن تساعدني بنقلها إلى المستشفى».

ولم ينه كلامه فقد اختفت تلك السيارة من أمامه لتحل محلها سيارة أخرى. وكرر رجاءه ذاك على كثير من سائقي السيارات، كان يتغير لون السيارة قبل أن ينتهي من كلامه.

الكل لا يسمعون..

الجميع تائهون عما حولهم..

والدقائق تمر، ومشكلته تكبر، وجنوب بريطانيا المثقلون بالسلاح يتكاثرون ليحلوا محل الناس العزل من السلاح وهو لوحده لا أحد يقف بجانبه في محنته تلك وأخيراً والساعة تقترب من السادسة وجد من يهديه إلى ما يفعله في ذلك الوقت. «الدنيا لازالت بخير وبعض الناس لا تخلو قلوبهم من الإنسانية». وهكذا أخذ يخاطب نفسه وقدماه تسوقانه عائداً إلى نفس الشارع الذي أتى منه متجهاً إلى نقطة البوليس حيث أشار عليه ذلك الشخص بأنه هناك بعد أن يشرح لهم مشكلته تتلاشى روداً رويداً لتحل محلها المشكلة العامة التي تعانيها البلاد. هذه الليالي التي يهدد الموت فيها كل مريض. وخطر بذهنه خاطر ارتعد له جسمه. «ترى؟ هل تموت زوجته إذا تأخر عليها، أتموت حبيبة قلبه، وأم أطفاله على بعد خطوات منه وهو غير قادر على أن يفعل شيئاً من أجلها، أتموت مقتولة بقرار جائر انصب على رؤوسهم». وغلي الدم في عروقه تلك اللحظة ورفع قبضة يده مهدداً في الفضاء وزم شفتيه حتى كاد أن

يدميهما... وهنا أحسّ بشيء جاف يلكزه في ظهره، وبندقية تصوب إلى صدره وصوت أجش يصيح به «هاري آب Hurry - Up» (الساعة السادسة وعشر دقائق) قالت عيناه ذلك بعد لفتة سريعة إلى ساعته. ولم يحد جواباً فقد تبع ذلك الخوار الذي أصدره جندي أحمر لكزة أخرى في بطنه وأخرى في عجزه وتوالت الضربات عليه في كل مكان من جسمه تسوقه إلى السيارة الفولاذية الصفراء، وانكفأ بوجهه على سطحها وجراح كثيرة تنزف دماً في جبهته ورأسه، وجرح بالغ في قلبه ينزف هواناً ومقتاً، واستوى جالساً على سطح السيارة الصلب ورفع عينيه إلى الجنود وصرخ فيهم وقد تمثلت أامه صورة زوجته وهي على فراش الموت:

- «يا مجانين.. يا طغاة، أتدرون ما أنتم فاعلون الآن، إنكم ستقتلون زوجتي، وستفجعون أطفالي، أطلقوا سرحي لعلي أمنع هذها لجريمة الشنعاء، أو اذهبوا بي إلى قسم البوليس ولتذهبوا بعد ذلك إلى الجحيم».

ولم يجيبه أحد، فتهالك على سطح السيارة مجهداً مكدوداً وأخلد للهدوء فليس له من حول ولا قوة تجاه

أولئك الصم البكم. ومرت برهة من الوقت وجد نفسها بعدها في معسكر للجيش وسط جمهرة كبيرة من أمثاله ممن خرقوا قرار حظر التجول. «شيخ طاعن في السن خرج يحلب شاته أمام باب منزله. وجل آخر ذهب يبحث عن ابنه التائه. وآخر نسي قارورة لبن طفله في سيارته خارج منزله».

ولما وصلوا إلى استجوابه كانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء، وكان من بين الجنود الذين يستجوبونهم عدد من العرب فما أن عرض عليهم مشكلته حتى هرعوا لمساعدته وكلفوا من يصحبه في سيارة البوليس إلى بيته ولكن الساعات كانت قد فعلت فعلها في غيابه فما إن وصل إلى بيته حتى انفجر كل من فيه قائلاً:

- «لقد ماتت زوجتك».

وكاد أن يغمي عليه لدى سماعه ذلك الخبر لولا أن ترامى إلى سمعه صوت وليد شق سكون ذلك الليل وبدد وحشته، صوت ألهب الأمل فيه وأعاد إليه صوابه، صوت أعاد إليه روحه. ودلف يركض إلى وليده صوت أمه الباكي يردد وراءه:

- «ماذا نسميه يا أحمد؟».

وهتف أحمد في صوت مشبع بالأمل والحب.. والقوة.. ويداه تحتضنان وليده:

- «نسميه ناصر.. ناصر.. يا أماه»..

* * *

أمنيـة (*)

التمعت عينا «أم منصور» بالدهشة وهي تتحسس بأصابعها الهزيلة سطح سيارة «المرسيدس» اللامع التي وقفت تلك اللحظة بجانب كوخها الخشبي ونادت على ابنها:

- منصور... منصور تعال انظر هذه السيارة الفخمة.

وخرج منصور من الكوخ وكان شاباً في العشرين من عمره. هزيل الجسم، أسمر اللون، لا يرتدي سوى فوطة بالية لفها حول وسطه، وقال مجيباً أمه وقد رآها تتحسس جسم السيارة بشغف وحنان:

- لأجل هذا دعيتيني يا أماه.

- وهل هذا شيء بسيط، إنك تعلم إنني أحلم طول عمري بأن تكون لنا سيارة فاخرة كهذه.

*) من مجموعة الحذاء.

- وهل ملكتها الآن؟ إن هي إلا سيارة مثل مئات السيارات التي تكتظ بها المدينة، ولا نرى منها سوى الغبار الذي تتركه خلفها على وجوهنا.

- أعرف أن هذه السيارة ملك جارنا مرزوق، ولكني دعوتك لأجل أذكرك فقط لكي لا تنسى.

- تذكريني بماذا ؟

- أذكرك لكي تضع نصب عينيك بعد انتهاء فترة خدمتك العسكرية، وبعد أن تتوظف في الحكومة أن تشتري لنا سيارة كهذه، انظر... ما أنعم سطحها.

- أماه مالك وما لهذه الأحلام البعيدة، اطلبي من الله أولاً أن ينقذنا من هذا الكوخ الحقير.

- لا، الكوخ ستتكفل به الحكومة، ألا ترى أن الحكومة قد أسكنت كثيراً من أصحاب الأكواخ في مساكن جميلة ونظيفة، وهي ستفعل ذلك معنا بلا شك، ولكن السيارة عليك أنت.

- يا أماه نحن أناس فقراء ويجب أن تكون آمالنا وأمانينا في حدود إمكانياتنا.

- ليه يا ابني، كثير على اللهأن يرزقنا بسيارة كهذه؟

- أعرف أن الله على كل شيء قدير، ولكن طلبك هذا ترف، وأنت تعلمين حالتنا جيداً، فالفقر جاثم على أنفاسنا، حتى إننا لا نجد اللقمة إلا بعد شق الأنفس أنت سيدة العارفين.

- آه يا بني، حتى الأحلام لا نستطيع أن نهنأ بها، وهل تفتكر أنني جادة فيما أقول... لا أبداً إنها مجرد أحلام وأماني، إنك لا تعلم شيئاً عن العذاب الذي لاقيته بعد وفاة والدك وأنت لاتزال في الخامسة من عمرك... لقد ذقت يا بني الجوع، واكتويت بنار الحاجة، وذرفت الدموع أياماً وليالي، حتى ربيتك وعلمتك وصرت ما شاء الله شاباً متعلماً بل رجلاً معتبراً.

- مادمت تعرفين كل هذا فلماذا تخاريفك هذه.

- أمنية طرأت على ذهني أن أركب مثل هذه السيارة وأتنزه بها، وهي سعدية زوجة مرزوق أحسن مني في إيه؟ كل ليلة هي وعيالها وزوجها تخرج على السيارة من مكان إلى مكان.

- نفسي يا بني ومنى عيني أن أركب لوحدي معك

سيارة مثل هذه، ذا أهل أول قالوا: «عجوز ماتت من حسرة».

- لا يكون في بالك يا أماه، فغداً إن شاء الله وعندما أتوظف سترين ابنك ماذا يعمل.

- اتسكت. اسكت. لا تحلم أنت الآخر كذلك، فراتب شهادة الثانوية العامة معروف، ولكن اسمع:

- أما قلت لي إنك الآن أصبحت مسؤولاً عن قيادة دبابة كاملة في المعسكر؟

- نعم، ابنك البائس هذا يعتلي كل يوم دبابة كبير كهذا الكوخ ويسرح بها كل يوم في الصحراء.

- جميل، وهل تعرف تسوقها؟

- طبعاً.

- طيب تقدر تأتي بها إلى الكوخ هذا؟

- أنت تجننت، أحضر لك دبابة حق الحكومة!

- ساعة واحدة أطلع عليها أنا وأنت وبعد ذلك نعيدها.

س- تريدين أن تتنزهين على دبابة؟

- وليه لا... هي زوجة مرزوق أحسن مني في إيه.

- يـا أمـاه اعـقـلـي، كـونـك تحـلـمـين بـركـوب سـيـارة «مرسيدس» فهذا معقول، ولكن تريدين أن تتنزهي على دبابة لا. لا هذا لا يعقل أبداً.

- أريد أن أغيظ زوجة مرزوق اللي كل يوم تتفاخر عليَّ بالسيارة حق زوجها، وأريد أن أظهر لها أن ابني ما هو بسيط، فبدل السيارة أحضر لي دبابة حديد في حديد.

- يظهر أن مرضك الأخير عمل لك هلوسة، فهل هذا كلام يقال يا أماه.

- وأنت إيه اللي بايصير لك عندما تلف بي كم لفة بدبابتك، خذني على قدر عقلي يا بني، واسمع كلامي خليني أبرد كبدي.

بعد ذلك الحديث عاد منصور في اليوم الثاني إلى معسكره، وكلام أنه يطن في أذنه، وصار كلما خلا إلى نفسه أخذ يحدثها فيما إذا كان بالإمكان أن يحقق أمنية أمه تلك، ولكنه كان في نهاية المطاق يهزأ من أفكاره تلك، إلا أن الفكرة ظلت تعاوده حتى سيطرت على ذهنه تماماً، كلما أبعدها عادت تلح عليه من جديد، فكان

كلما اعتلى دبابته، تمثلت له أمه بقامتها الهزيلة وهي بجانبه داخل الدبابة وهي فرحة مسرورة وجميع أهل ارته يشيعونها بالحسد والغيرة.

وذات يوم... وفي حوالي الساعة السادسة صباحاً كانت سريته في تدريبها اليومي، وبينما هم يتقدمون متوغلين في الصحراء الممتدة أمامهم إذا بفكرة أمه تسيطر على ذهنه تماماً لتأخذ مأخذ التنفيذ... فأخذ يتباطأ عمداً ويتأخر عن سرب الدبابات حتى أيقن أنهم ابتعدوا عنه بما فيه الكفاية، وعندها غير من اتجاه دبابته متجهاً إلى كوخه وقد سيطرت عليه تلك الفكرة حتى إنه لم يعد يفكر بنتائجها الخطيرة عليه. أخذت الدبابة تشق طريقها مثيرة عاصفة من الغبار حولها وهي منطلقة إلى هدفها المنشود، وفي السادسة والأربعين دقيقة تماماً كانت الدبابة قد وصلت خلف الكوخ الذي يسكنه مع أمه، فانسل منها في سرعة وأخذ يقرع باب الكوخ ولما فتحت أمه له الباب قال لها على الفور:

- هيا يا أمي، الدبابة خلف الكوخ فلنسرع إليها قبل أن يكتشفوا أمرنا.

وأسرعت أمه إلى الداخل تبحث لها عن ثوب يليق بتلك المناسبة، وفي عجل صعدت ذلك الجبل من الحديد وهي تقول لابنها:

- لقد أيقظتني وأنا أحلم أن أتنزه معك، ولكن ليس على دبابة.

- على ماذا، على طيارة؟

- لا، على حصان أبيض، ولكن أتدري في أي مكان؟

- لا، أين؟

- في القدس.

- ما أطرف أحلامك وأمانيك يا أماه!

ولما انطلقت الدبابة، قالت أم منصور لولدها:

- اسمع يا بني، اليوم يومنا فلاداع للعجلة، معنا النهار بطوله.

وأجاب منصور مستفسراً:

- ماذا تقصدين؟

- نحن اليوم بدون خضار ولا سمك، اتجه بنا أولاً

سوق الخضار فهو في هذا الوقت المبكر سيكون مليء بالخضار، اذهب بنا إلى هناك أولاً، وبعدها يمكننا مواصلة نزهتنا.

قال منصور ساخراً:

- أتريدين أن أدخل سوق الخضار بالدبابة؟

- وليه لا؟

- ماذا سيقول الناس عندما يشاهدون دبابة تقتحم عليهم السوق؟

- هناك أكثر من سبب يدعو لذلك.

- وما هي تلك الأسباب؟

- ألم تقرأ كل يوم في الصحف، أن الحكومة تحارب السوق السوداء؟

- هذا صحيح.

- لذلك فهم عندما يشاهدون الدبابة سيقولون إن الحرب قد بدأت.

- ما أظرف أفكارك يا أماه. الحرب على ماذا؟ على «القفف والزنابيل».

- والله قليل عليهم ذلك، هؤلاء الذين سودوا عيشتنا.

- وبعد ذلك؟

- نروح عند خالتك زينب، فإنني منذ زواج ابنتها فاطمة في العام الماضي لم أرها قط.

- إذا كان لابد من ذلك فسنمر أولاً على خالتي زينب وبعد ذلك نغزو السوق.

- وهل سيبقى لنا شيء خضار بعد ذلك؟

- لا اطمئني من هذه الناحية، فقد علمت من أحد أصدقائي أن الشرطة قامت أمس بحملة واسعة وقضت على السوق السوداء وخلصت الناس منها.

- هل قضوا على حاملات القفف والزنابيل؟

«وضحك منصور طويلاً».

فقالت له أمه:

- لماذا هذا الضحك؟

- لقد أضحكتني كلمة حاملات القفف، إنها على وزن حاملات الطائرات.

وكانت الدبابة تلك اللحظة قد انطلقت في الطريق العام مزاحمة سيارات العمال والموظفين الذاهبين تلك الساعة إلى أعمالهم، وقد اشرأبت أعناق الكثير متطلعة إلى تلك الدبابة، لأنهم يعرفون أنه لا يوجد أي معسكر للجيش في تلك المنطقة، ومسح أكثر من موظف عينيه براحة يده غير مصدق ما يراه أمامه، وفي حوالي السابعة كانت الدبابة أمام منزل زينب خالة منصور وأمه تطرق الباب، بينما وقف منصور خارج الدبابة في انتظار أمه التي فتح لها الباب تلك اللحظة ودخلت المنزل، ولم يطل وقوف منصور كثيراً حينما رأى أمه تهرول مسرعة، قائلة وهي تلهث من الانفعال:

- منصور... تعال قرب الدبابة جنب الباب؟

- ماذا حصل؟

- بنت خالك بتولد.

- فاطمة.

- أيوه ولادتها متعسرة جداً، يا عيني لها من الفجر وهي تتوجع، يالله يا ابني لا تضيع الوقت.

- وماذا أفعل لك؟

- هات الدبابة إلى جنب باب المنزل لأجل ننقلها إلى مستشفى الولادة.

- ننقلها بالدبابة... هذا لم يحصل أبداً في التاريخ.

- بلا فلسفة يا بني، البنت باتموت علينا وبمقدورنا أن ننقذها.

- ولكن...

وقاطعته أمه:

- اسمع كلامي ياب ني ولا تخليني أغضب عليك.

همهم منصور محتجاً وارتقى الدبابة وقام بعدة محاولات حتى ألصقها تماماً بباب المنزل، في حين تعاون بعض النسوة بداخل المنزل وحملوا المرأة حتى أوصلوها إلى جنب الدبابة ثم أعانهم منصور حتى أدخلوها الدبابة وجلست أمه بجانبها وانطلقت الدبابة.

وقال منصور:

- ولكن لربما تلد ونحن في الطريق؟

- وماله لا تخف أني ياما ولدت.

- تريدين أن توليدها هنا بالدبابة؟

- الولادة لا تفرق بين مكان وآخر.

- صحيح كلامك يا أماه. لكنني لا أدري نهاية يومنا هذا.

- لا تقلق يا بني، فنحن لا نفعل إلا الخير.

وصمت الجميع وبينما الدبابة تشق طريقها إلى الأمام ترامى إلى مسمع منصور صرخة قوية أطلقتها المرأة الحامل من خلفه، تبع ذلك صوت بكاء وليد، سمع أمه تخاطب المرأة قائلة:

- الحمد لله يا ابنتي، ارفعي الآن جسمك قليلاً، حتى أرفع الوليد من أرض الدبابة وإذا لم تستطيعي اتكئي على كتفي... والآن ارجعي إلى الوراء قليلاً... أيوه... أيوه...

والتقطت أم منصور الوليد ووضعته في حجرها وأردفت قائلة مخاطبة المرأة:

- ضعي الآن طرف شعرك في فمك وحاولي التقيؤ حتى تنزل «المشيمة» وينتهي كل شيء.

وامتثلت المرأة لكلام خالتها وفعلت ما أمرتها به،

فأخذت تتصنع التقيؤ حتى خرجت «المشيمة» ولما تيقنت أم منصور من أن كل شيء على مايرام، مدت يدها إلى ابنها قائلة:

- ناولني سكيناً أو حديداً أقطع به الحبل السري.

أجاب منصور وهو مندهش لما يجري حوله:

- ليس لدي سكين.

قالت أمه وهي تشير إلى المسدس الملصق بحزامه:

- وما هذا ؟

- إنه مسدس، وليس سكيناً.

- اعطني إياه.

- ماذا ستفعلين به؟

- لا تخف، لن أطلقه على أحد، سأدق به الحبل السري لأقطعته، هكذا كان يفعل الرعاة عندما يكونون في الخلاء فيما مضى.

ناولها منصور المسدس بعد أن أفرغ منه الرصاص، فتناولته منه أمه، ثم بسطت الحبل السري على سطح الدبابة، ومن ضربة واحدة بظهر المسدس قطعته، ثم

قامت بربط الجزء المرتبط بالوليد ثم رفعته لتريه أمه قائلة:

- انظري إليه وقري به عيناً.

وقالت المرأة في إعياء ولكن في فرح:

- إنها بنت وهذا ما كنت أتمناه.

قالت أم منصور:

- بنت ولا ولد، كله من عند الله.

تم كل شيء بسرعة مذهلة خلف منصور الذي كان يقود الدبابة على غير هدى ولم يشعر إلا وهو وجهاً لوجه أمام سيارة أحد ضباط الجيش ممن يقع تحت إمرته، وكان قد اعترض طريقه تلك اللحظة، ودون شعور رفع منصور يده بالتحية في ارتباك وأوقف الدبابة، وانتظر ما سيقوله له الضابط:

قال له الضابط في جفاء:

- ما الذي جاء بك في هذه الساعة إلى هنا؟

احتار منصور كيف يجيب غير أنه آثر أن يقول الصدق، ولكنه من أين يبدأ حديثه، فتلكأ في الإجابة.

صاح الضابط عندئذ قائلاً:

- إنني آمرك أن تجيب يا جندي، تكلم إلى أين أنت ذاهب بالدبابة؟ ولماذا غادرت معسكرك؟

وتلعثم منصور ووجد نفسه يقول للضابط:

- كنت ذاهب إلى مستشفى الولادة، ولكن الحمد لله فقد وضعت قبل قليل في الطريق.

استغرب الضابط وظن به الظنون وقال هازئاً:

- ماذا وضعت الدبابة بسلامتها؟ مصفحة!

قال منصور أن يعي السؤال جيداً:

- بنت يا حضرة الضابط حتى انظر بنفسك لتتأكد.

وكاد الضابط أن يجن فنزل من سيارته وهو يصيح:

- أتهزأ بي يا جندي؟

قال منصور:

- أبداً، ولكني ما قلت إلا الحقيقة.

وهنا رفعت أم منصور رأسها وبيدها الطفلة وقالت للضابط:

- هناك سوء فهم وقع فيه ابني والحقيقة...

وصاح الضابط مقاطعاً:

- ومن تكونين أنت؟

- أنا أمه.

- أم الطفلة؟

- لا. أم منصور.

- وهذه الطفلة بنت من؟

- بنت فاطمة. بنت خالة منصور.

- ما شاء الله، ألم تجد مكاناً تلد فيه غير الدبابة؟

- المكتوب يا ابني.

- أتريدين أن تجننيني أنت وابنك، ما شأن الدبابة بكل هذا الذي يحصل؟

قال منصور وقد عاد إليه شعوره:

- تلك قصة طويلة سأرويها لك ولكن ليس الآن.

قال الضابط وهو لا يدري هل يغضب أم يضحك:

- لم أر أغرب مما رأيت اليوم... عد بالمرأة إلى منزلها ولي معك شأن آخر.

ودارت الدبابة، وعادت من حيث أتت، في حين تبعتها سيارة الضابط وعندما اقتربت الدبابة من السوق التجاري قالت أم منصور لولدها:

- اسمع يا بني، خلي نحن على جمالتنا، أوقف بنا في السوق أريد أن أشتري سريراً للطفلة، وآخر للأم، فقد أعطتني خالتك زينب خمسين ديناراً ثمن ذلك.

- يا أماه أما سمعت ما قاله الضابط أمامك، فهل تريدينه يغضب أكثر من ذلك؟

- الناس لبعضها يا بني، وضابطك هذا، أليس له أولاد... وهو على كل حال يعرف الحقيقة بايقدر ظروفنا.

- ولكن أين تريدينا أن نضع السريرين؟ على الدبابة أيضاً؟

- لقد فكرت في الأمر فوجدت أن سيارة الضابط الذي خلفنا واسعة وسوف تتسع لسرير الأم وطفلتها.

ضحك منصور رغم ما به من بلاء وقال:

- هل تريدين أن تستغلي سيارة الضابط أيضاً، أما كفاك الدبابة؟

- طالما أن السطح الخلفي للسيارة فارغ تماماً فما المانع؟

- ولكن أليس من المستحسن أن نستشيره أولاً؟

- وهل استشرته من قبل؟ قف أمام هذا الدكان وهو سيقف خلفك ولن يشعر إلا والسرير على سيارته.

انصاع منصور لأمر أمه، فأوقف الدبابة وخرج واشترى السريرين وحملهما إلى سيارة الضابط وسد دهشة الجميع، ثم اعتلى الدبابة وواصل سيره، وحينما اقترب الموكب من منزل خالته لم تطق أم منصور صبراً فقامت والطفلة في حجرها، وحين وجدت نفسها أمام المنزل أطلقت زغرودة طويلة سرعان ما تجاوبت معها زغرودة أخرى من داخل المنزل ثم امتلأ الشارع كله بالزغاريد.

فبراير 1987م

***

علــــى محـــمـــد الحـــســـون

من مواليد 1951 (السعودية). روائي أصدر مجموعة حصة زمن (1976)، حوار تحت المطر (1983).

حكايـة

توقف صالح على عتبة الدار.. رائحة «الكباب» سبقته إلى الداخل، ناول أمه حزمة «الكرات» قبل أن يخطو أكثر إلى الداخل توقف عندما لمح شبح امرأة تجلس أمام الدرج. تنحنح.. قالت له أمه ادخل هذه سعدية.

ياه.. سعدية.. فين أيام زمان.

دارت به الدار لسنوات مضت كانت سعدية صبية

تلعب معه في - برحة - الحوش... كانت لا تفارقه الكل كان يقول: سعدية لصالح.. وصالح لسعدية.

كبرا وكبر معهما الأمل.. كانا لا يفترقان.. يلعبان البرير وأم خمسة.. والمزاويق.. كانت سعدية تنفذ كل ما يريده منها بدون مناقشة.. كانت أمها تخيفها بأن تشكوها على «صالح».. إن هي أخطأت.. أو تمردت عليها.

وكبرت سعدية تخطت مرحلة الطفولة.. توقفا عن اللعب في برحة «الحوش».. الإحساس بينهما كبر أكثر، أصبح لا يراها إلا خطفاً كالشبح لا تحدثه كالسابق.. ولا يحكي لها ما يلاقيه في المدرسة من زملائه.. انقطعت ما بينهما من صلة.. وظلت في داخله.. وظل في داخلها.

فجأة ذات يوم فائض الحرارة ولفحات ساخنة من السموم تلفح الوجوه أحس بحركة غير عادية في منزل سعدية.. أناس أغراب يتوافدون إلى المنزل.. للتو انتهت صلاة العشاء في المسجد النبوي الشريف.. حاملين معهم أشياء ملفوفة.. ضربات قلبه تزايدت.. أحس كأن شيئاً

غير عادي يجري هناك، لمحت أمه «امتقاع» لون وجهه قالت له: لا عليك «بكرة» أزوجك أحسن منها.

شهق.. ماذا تقولين؟

أحست الأم أن ابنها لا يكاد يصدق ما يسمع ربتت على كتفه..

لا عليك يا ولدي.. أبوها طمع في الفلوس وكسر خاطر البنت وخاطرك لأنك يتيم.

لم يعقب على أمه ابتلعه الصمت فزفت سعدية إلى ذلك العجوز الغريب عن الحي وانقطعت أخبارها عنه.

كره كل شيء.. لم يعد يهتم بدروسه.. ترك المدرسة، وأصبح يعمل صبياً عند «كبابجي» رائحة الكباب لا تفارق ملابسه.

تذكر كل هذا وهو يقف على عتبة الدار.. أمسك بالجدار خشية أن يقع وسعدية أمامه تغيرت كثيراً تجر خلفها طفلين وورقة طلاق صفراء.

* * *

ليلى العثمان

(الكويت). أصدرت ثلاث روايات، وثمان مجموعات قصصية منها: امرأة في إناء (1982)، الحب له صور (1982)، الحواجز السوداء (1994).

نافذة لعصفور

ما العلاقة بين العصافير والنوافذ؟ لماذا لا تكتفي بدفء أعشاشها ونداوة رؤوس الأشجار؟ لماذا لا تكترث بمياه الأنهار الواسعة والينابيع المتدفقة وتلهث إلى قطرة مطر منسية فوق حافة شباك مزاحة ستارته ناحية اليمين؟ هل تلك العصافير فضول الإنسان فتتجسس على الغرف عبر نوافذها؟ أم تجذبها روائح عطور النساء أم بقايا حليب تحمض على - صدرية - طفل رضيع؟ أم تراها حين تهن قواها في الحب تأتي لتستنشق شراشف العشاق وتنهل منها حبوباً للشبق؟

للعصافير حواس مدهشة، وعواطف لا يحسها إلا من يتعمق بأحوالها ويصمت حين تبدأ تغاريدها ، ولمن يصطفيها صديقة وأنيسة على شباكه.

ذات مرة حط عصفور على حافة شباكي. لم ألتفت إليه. واصلت الكتابة بنهم شديد. فلم ييأس، ظل يراقبني فاستدرت إليه. اقتربت بالكرسي من النافذة. ألصقت كل وجهي بالزجاج فغدت المسافة بيني وبينه قريبة جداً، طرقت على الزجاج فلم يتحرك، ظل يحدق بي، تعبت وما تعب. وحين عدت لأوراقي طار وكأنه استراح إذ جعلني أهتم به. في اليوم وضعت له حبوباً على الحافة وبدأت أكتب. جاء والتقط الحبوب ثم اقترب من الزجاج. أخذ ينقره نقرات حنونة كمن يستدعيني إليه. طاوعته واقتربت. وضعت إصبعي على الزجاج وبدأت أكتب له رسالة عابقة بفرحي لقدومه متسائلة عن سر حب لنافذتي، كان يتحرك بعينيه مع إصبعي وكأنه ينقط الرسالة، هنا يصبح فاصلة، وهنا يفتح قوسين، وهنا يضع ضمة، كسرة، علامة تعجب أو علامة سؤال.

حيرني هذا العصفور، فقررت أن أعمق صداقتي به.

في اليوم التالي فتحت جزءاً من النافذة على رغم أن النهار ذلك اليوم كان مغبراً. لكنني احتملت ذراته الحمر تعفر أوراقي وتنتشر على الأثاث الذي أسرفت وقتاً طويلاً في تنظيفه أنا والعاملة، جلست أنتظر زيارته الحبيبة بشوق، جاء مرفرفاً واستقر أمام الفتحة، ابتسمت له ملء قلبي فسرب جسده إلى الغرفة تاركاً عصف الريح يمور في الخارج لاهفاً لأجواء غرفتي، صار يطير ويزقزق وأنا مأسورة برياضته الرشيقة وغنائه الشجي، دار وحام، استقر مرة على جهاز الكومبيوتر ثم على أوراق النبات الأخضر ومنها إلى الأركة ثم حط على برواز صورة سعدالله ونوس بوجهه الحزين، فلوحت له غاضبة لئلا تسول له نفسه أن يلوث الصورة، وبدأت بالكتابة، فجأة وجدته يصدر زقزقة عالية ويطير طيراناً فوضوياً مصدراً بجناحيه أصواتاً غريبة، تركت القلم فصمت، تحركت، قمت إليه أهشه فيطير ثم يستقر على أي شيء، كنت في محاولاتي أوجهه إلى فتحة النافذة ليخرج منها لكنه يتأبى ويسخر من محاولاتي التي باءت بالفشل. تركته واستقريت على الأريكة رافعة قدمي على زندها الآخر. وياللغرابة جاء وحط على أطراف أصابعي ينقر عليها

بخفة وكأنه يدلك تعبها فشعرت براحة ارتخت معها كل عضلاتي. مددت ذراعي، فردت كل أصابع كفي فطار إليها يفعل ما فعله بقدمي، وأنا أتخدر ويذيبني نعاس مفاجئ، قمت إلى غرفة النوم ارتميت على السرير فاستقر على الطاولة المقابلة وأخذ ينقر بسلة القش التي أضع بها بطاقات الأطباء وعلب الدواء الفارغة. قمت من السرير متجهة إلى الحمام فطار ورائي. هنا. وقفت له في المرصاد: إلى هنا والتزم حدودك، هل تظنني أسمح لك بانتهاك أسرار جسدي؟ صفقت الباب ولم أستطع إلا أن أفكر به، ماذا تراه يفعل الآن؟ هل يجلس أمام مرآتي ويعبث بأدوات مكياجي؟ أم سيفتح الأدراج ويستل بعض الإكسسوارات الخفيفة ليتزين بها؟ ثم خطر ببالي أن الغضب استبد به فغادر الغرفة مقرراً أن يعاقبني فلا يعود.

خرجت أبحث عنه، وجدته قابعاً على ورقتي التي ملأت نصفها بالكتابة، جلست إلى المكتب فابتعد عن الورقة واستقر على جهاز الهاتف يصفر ولا يسكت، أربك أفكاري فضاعت مني جملة جميلة، فكرت بطريقة تجعله يصمت لو دقائق أستعيد بها ما ضاع مني،

أمسكت بالهاتف النقال وضربت رقم الهاتف الذي يجلس عليه، حين زعق الرنين انتفض العصفور انتفاضة مذعورة جعلته يفر سريعاً من الفتحة إلى الخارج حيث اربدت السماء أكثر. شعرت بالأسى وبتأنيب الضمير وقلت في سري: لن يأتي بعد. في الليل حلمت بهذا العصفور يحط على صدري ويتمرغ عليه بود، مازحته:

- هل تعطيني جناحيك؟

بجرأة وكأنه عدو يستد مني قال:

- أعطني كفك اليمنى أعطيك جناحي.

صرخت به:

- أيها الأحمق. ألا تعرف أنني من دون كفي هذه أموت؟

سخر مني:

- وأنت. أيتها الغبية، ألا تعرفين أنني بلا جناحيَّ أموت؟

أخذت أضحك وأنا أعانقه وأقبله فاستكان وظل يشاركني الحلم.

صباحات تأتي وترحل والعصفور لا يفارقني حتى غدا أقرب الأصدقاء إلى روحي.

* * *

عبدالعزيز صالح الصقعبي

من مواليد 1958 (السعودية). كتب الرواية والمسرحية. أصدر مجموعات قصصية، منها: لا ليلك ليلي ولا أنت أنا (1983)، يوقد الليل أصواتهم ويملأ أسفارهم بالتعب (1993)، أنت النار أنا الفراشة (1999).

جـرح

ماذا عسى أن يفعل هذا الطفل، ابن السابعة، بحجر قذفه طفل آخر فشج رأسه وأدماه. ماذا تتوقعون أن يفعل؟، قد يبكي وهذا ما حدث فعلاً، وماذا بعد؟ أخذ الحجر منه أداة الجريمة واتجه صوب أمه وهو يبكي. وماذا بعد أيضاً؟ ربما انتهت الحادثة!

لنتساءل مرة أخرى ماذا عساه أن يفعل ذلك الرجل

ربما انتهت! ولكن ثمة أمراً لم ينته بعد، هو الغياب المفاجئ للطفل الآخر، الذي قذف بالحجر. هل تتوقعون أنه هرب وغادر المدينة التي كان يقطنها؟ سأل والدته، رأى الحزن ينبعث من عينيها! لقد غادروا، ربما لن نقابلهم للأبد.

ولنتساءل مرة ثالثة ماذا عساها أن تفعل تلك المرأة عندما رأت رأس ولدها ينزف دماً، غضبت قليلاً، ولكن ليس بمقدار الحزن على فراق تلك الصديقة التي تسبب طفلها بتلك الحادثة، ستفقد أعز صديقة لها. ستذهب بعيداً مع زوجها الذي تقرر نقله بعيداً. هل انتهت الحادثة؟ أجل ولكن القصة لم تنته بعد.

لا بأس أن تعرفوا أن الحادثة وقعت في حي شعبي بسيط، وفي مدينة تدعى الطائف، قد لا يضيف ذلك شيئاً، ولكن قد يكون ذلك الجرح تسبب بعلامة بالرأس بقيت سنوات طويلة، ولكن ثمة جرحاً أقوى وأنكى، فقد حدثه والده ذات مساء عن جارهم الذي ذهب إلى فلسطين ليقاتل ضمن الجيوش العربية ولم يعد. ربما القصة بدأت تتضح قليلاً، فالحادثة وقعت في شهر يونيو

من عام سبعة وستين بعد التسعمائة ألف. وقد لا تختزن ذاكرة الطفل سوى ملامح باهتة من تلك الأحداث، ولكن من المؤكد أنه لن ينسى حزن أمه على فقد صديقتها، وفجيعة والده على فقد أراض عربية وعلى رأسها زهرة المدائن القدس.

ماذا عسى ذلك الرجل أن يقول لأبنائه عندما سألوه عن ذلك الأثر القديم في رأسه، بعد أن بدأ الشعر ينحسر شيئاً فشيئاً. هل يقول لهم إن طفلاً قذفه بحجر عندما كان عمره سبع سنوات؟ أو يقول لهم ثمة أمر أكبر حدث في ذلك الزمن جعله ينسى سبب ذلك الجرح؟ ربما لو فكر قليلاً فسيقول لهم إنه في ذلك الزمن لم تعرف قيمة الحجر بعد.

* * *

يوسف المحميد

من مواليد 1964 (السعودية). أصدر ثلاث روايات. من مجموعاته القصصية: ظهيرة لا مشاة لها (1989)، رجفة أثوابهم البيض (1999).

الرجل الذي أكله الحزن

قال لي: إذا لم تشرح لي حالتك لم أتمكن من مساعدتك، لن أخرجك من حالتك هذه أبداً، ربما سيحدث لك يوماً انتكاسة، لحظتها لن نتمكن من مساعدتك!! قلت في نفسي وأنا أنظر صوب مريلته البيضاء، لماذا يملكون هذا القدر الضخم من الثرثرة المجانية، وأنا كما أخرس لا أملك أن أعبر عن حالتي، فقد أحتاج إلى وحدة وعزلة دافئتين، وقلم فحسب، لأكتب على ظهر كرتون المناديل الورقية، أو على المناديل ذاتها، أو على مؤخرة

هذا الغبي الذي يشبه عمله عمل المحققين أو المخبرين السريين، يستدرجني لأحكي له عن حالتي، ويقوم بكتابة ما أقوله لـه داخل هذا الملف الأخضر، ويـردد لـي كمن تحوم حوله شكوك: لا تقلق!! هذه المعلومات سرية!! أنا أسجلها فقط لأغراض طبية!!

لم أقل له لو أملك أن أكتب ما يطوّح بي ويرجرجني على ظهر هذا البلد لفعلت، جرّبت أن أكتب شتائم وأحزان وأحلام ورسائل على الجدران، لكنها لا تكفي، يأتون في اليوم التالي ويدهنون جدرانهم القبيحة كي يخفوا سوأتهم التي أثيرها بكتاباتي الجدارية، لست مراهقاً بل مرهقاً ويائساً وحزيناً!!

همس بوداعة: لم أنت كتوم؟ ولم جئ هنا؟ لماذا لا تعتبرني أخاً أو صديقاً؟ لم أقل له لا أخوة لي، ولا أصدقاء ولا أعداء، لا شيء يحرضني على الكلام في هذا العالم كله، لا الشوارع ولا العمارات ولا الأشجار ولا عيادات الأطباء، لا الوجوه العابرة، ولا المألوفة المتكررة، حتى الأشجار التي كنت أحكي معها قبل سنوات لم أعد أجد ما يبرر صداقتي الطويلة لها!!

قام بغتة من كرسيّه الدوّار، والتقط من رف المكتبة خلفه شيئاً ما لم ألحظه، ووضعه على الطاولة: هذا تمثال زجاجي، انظر إليه!! حدّقت فيه لوهلة قبل أن يقف ثانية ويتحول في غرفته الصغيرة: أنت مثل هذا التمثال سهل الكسر، قد يسقط من على الطاولة ويرتطم في البلاط ويتهشم!! كنت أنظر في النافذة قبل أن أضيف إلى كلامه: وأنا قد أسقط من النافذة وأرتطم بالأسفلت وأتهشم!! وحدّق بي، فرأيت في عينيه البغيضتين غشاوة تشبه غشاوة الموتى!! سألني بتشفٍ: لماذا تريد أن تقفز من النافذة؟ وقف فجأة واستدرت تجاه الباب دون أن أدفع له أجرة الكشف: لا تخف، سأخرج من الباب، ولن أنتحر داخل سلالم درج في عمارة بغيضة!! وصفقت الباب خلفي.

في الشارع تركض حولي صناديق أحزاني المغلقة، كأنما هم أطفالي المخلصين الأشقياء، هذا صندوق الحنين إلى ما لست أعرف. هذا صندوق الألم، وذلك البعيد الذي يجرجر أقدامه صندوق الذكريات، وذلك الصندوق الطويل الذي يشبه النعش كان صندوق البكاء!! كنت

أبك بحرقة، وجهي تضربه شمس يونيو اللاهبة دون أن تجلد البلل عليه!! كنت أغني بضيق، أردد أغنيات قديمة لمحمد عبده، وأنشج بشراسة ناقة، لم أنتبه إلى ما حولي، لم أشعر أن هناك مَنْ يمشي معي على الرصيف، كنت وحيداً أبكي وأغني وأتذكر معا!!

مشيت قرب سور مدرستي الابتدائية، ثم انعطفت إلى شارع مظلم وتوقفت عند باب المدرسة المقفل، طرقته بحذر، ثم طرقته بشدة، لم يكن هناك أحد!! سحبت أقدامي بتخاذل، بعد أن تلفّت طويلاً باحثاً عن الحارس الذي يبيع حماماً في العصر، ويرتاد نادي النصر ليلاً. عدت إلى الشارع المضيء، ومشيت صاعداً الشارع دون أن أتوقف عند باب خالد الذي صار ضابطاً، أو سعيد الذي أصبح لاعب كرة مشهور. عند المخبز الأتوماتيكي بحثت عن سيارتي النيسان البيضاء القديمة، فوجدتها تقف عند باب المخبز. انتظرت قليلاً حتى خرج شاب عاري الرأس، ليفتح بابها. لحقت به وسألني: خير؟ قلت له: سيارتي، وأنا أشير نحوها!! دفعني برفق وأدار محرك السيارة، وانطلق بسرعة ووجل!!

مشيت تجاه شارع العصّارات وأنا أقضم أصابعي، اجتزت الشارع دون أن ألتفت صوب جهة السيارات المسرعة، سرت ببطء شديد أسفل سور وزارة العدل، كنت أقف كل لحظة وأطالع في الأشجار الهرمة اليابسة من وراء السور. كان الشارع خال والليل يتمدد مثل عجوز لقيط. انعطفت ناحية منزلنا، وطرقت الباب طويلاً، لم يكن هناك أي صوت سوى مناغاة أشجار الكينا، وهي تهددني مثل طفل ضال وشريد. قلت لها: لماذا لا تفتحين لي الباب؟ انعطفت برأسها الشامخ إلى الوراء دون أن تجيب!! عادت ثانية وتلصّصت عليّ. رجوتها بنزق: هيّا افتحي يا عجوز!! أريد أن أطمئن على البنسيانة وسط الحوش!! اضطربت أوراقها ثانية وهي تشيح بوجهها عني!!

ظللت لوهلة أقضم أصابعي وأتلفت بضجر وارتباك، ثم دخلت في نوبة هياج وأنا أهز الباب الحديدي الضخم من مقبضه، بدأ يتمايل مثل شجرة الكينا، حتى انفتح عن آخره. أعرف سرّه مذ كنت صغيراً، ما أن أرجّه بقسوة الصغار حتى يضعف وينفلق مثل ثمرة ناضجة!! دخلت حذراً ومرتبكاً، بعد أن أغلقت الباب خلفي بهدوء،

انعطفت يميناً باحثاً عن الحديقة المنزلية بنخلة السلّج التي أصعدها كي القّح طلعها ذا الرائحة المدهشة، لم أجدها شيئاً غير بيت شعر أسود كبير جداً، يغطي مساحة الحديثة تماماً، تجاوزته دون أن أنظر داخله، ذاهباً إلى الحديقة الأخرى التي تتوسطها نخلة ثانية، وتجاوزها شجرتا جوافة يطل رأساهما على الجيران، كم هالني أن أجد البلاط المرصوف بعناية يملأ المكان بأكمله، تهاويت على البطال، وأنا ألهث: اللعنة، مع من سأتكلم الليلة؟ لا شجر أفضي بأسراري بين أوراقها، لا نخلات تمسح على رأسي بسعفها!! إلى من سأدلق بأحزاني الليلة، البيت لم يعد البيت، وأمي ليست هنا، والأشجار طوت جذورها وغادرت، والليل موحش على بلاط أبله وغبي، وأنا وحيد لا أسمع صوتي أبداً، صرت أنشج الليل كله، وأنا ممدد على البلاط الأبيض المبرقش بالسواد، ممدد مثل قتيل، مثل جنازة أكلها الحزن!!

ثمّة حرارة تسللت إلى وجهي، هجست وأنا في الغيبوبة هل مازلت حياً، لم أفتح عيني المطفأتن، حركت يدي بصعوبة بالغة، رفعتها تجاه جبيني، فسرت حرارته إلى يدي، مما شجعني ففتحت عيني، ونظرت إلى الأعلى

حيث شمس الظهيرة تصفع وجهي، والبلاط حولي حرارته عالية، حاولت أن أستند بمرفقي على البلاط الحارق، فلم أستطع. حاولت ثانية، وزحفت قليلاً نحو ظل جدار البيت، ثم اتكأت على الجدار ونهضت بتثاقل، خطوت ببطء، وأنا أتكئ بكتفي على الجدار، مررت بجوار بيت الشعر الأسود الضخم، وهو يسترخي مكان الحديقة بلا اكتراث، تجاوزته، ثم اتجهت صوب الباب الخارجي، دون أن أرفع رأسي نحو شجرة الكينا. قرب الباب اصطدمت به بمقدمة وجهي، وحين أردت أن أهمز ضاغطة، ارتعبت بغتة، لم يكن في كفي أي أصابع، متآكلة كانت، كأنما شيء حارق وقاس جرّها أثناء غيبوبتي، فرفعت رأسي صوب الكينا، وأجهشت بالبكاء!

* * *

محمود تراوري

من مواليد 1967 (السعودية).
روائي. صدرت له مجموعتان:
بيان الرواة في موت ديما (1993)،
رين الحمام (1997).

الوعكة

قبل لحظات خرجت مع صديقي الذي توعك بلا مقدمات أو مبررات ترضي فضولي. ووقفت أمام إشارة المرور كأي إنسان لا يملك إلا أن يقف. كنت صامتاً كنت قد غادرت، مثلما أقف في هذه اللحة. عدا بقايا ضحكة باهتة تركتها تتعالق مع باب العمارة الصدئ.

كنت أفرغت كل النار التي صبها صديقي الموعوك في ثلاثة كؤوس. حين انتزعت سرحاني، سيارة تقف في الشارع المحاذي لوقفتي، والذي سأستدير نحوه إن تجاوزت صمت هذه الإشارة.

تبدو كأنها موديل هذه السنة، لونها لم أستطع تحديده، فهي كانت تقف في بقعة معتمة من الشارع، بينما ما عدده من أربعة إلى ستة رجال متباينون، كلهم وقوف، وغطاء المؤخرة أو ما يعرف عندنا بالشنطة مفتوح كالجوع ومقزز كالخوف الذي به غادرت صديقي.

حدقت في الإشارة، تطلعت إلى الرجال المتباينين الواقفين خلف شنطة مفتوحة، ولم يتبين إذا كانوا مختلفين أو متحابين، أو أن كل طرف كان مرعوباً من الآخر، أو أن طرفاً يسبب رعباً ويثير ريبة للآخر. ففي بعض الأمكنة تختلط الأشياء بالتبريرات، فيغدو المشهد مفتوحاً على كل الاحتمالات. هكذا أقنعت نفسي، وأنا أحاول عدم الفرار من فكرة أنني مللت حبيبتي هذا اليوم.

ولكنني لم أحزن لأني أجبرت نفسي على تذكر أن ملل العشاق والأحبة شيء طبيعي لاستمرار المحبة. استطردت في لحظة رومانسية وقلت: إن شعلة العشق تبقى مشتعلة طالما غسلتها من وقت لآخر مياه الملل والنفور.

التفت يمنة فإذا بي أقترب من تحديدي المشهد... شخصان حتماً هما من القارة الهندية، لم أستطع تحديد بلديهما. وواحد إفريقي بوضوح ألم إفريقي سافر، مواطنان أحدهما محجب بشماغ لفه كعصابة حول رأسه، وآخر اكتفى من المواطنة بثوب فضحت بياضه العتمة الوحيدة التي التصقت بالسيارة.

لحظة كوزموبوليتانية تخيلتها و... افترضت فيها حواراً بسيطاً يكون مقدمة لمعرفة الآخر الذي بقي طويلاً يحتك بنا.

المواطن المحجب يخلع عقاله، بصورة تجعلني ألغي نهائياً فكرة الحوار أو التفكير في الاقتراب من الآخر. خصوصاً عندما تقترب سيارة أخرى تتهادى من خلف السيارة الأولى، داخلها معتم أتبين فيه ربما وجهين نسائيين، ووجهاً ملثماً، ووجوهاً لم أحددها إن كانت ملتحية أم لا، لأنني عدت أتذكر أني مللت حبيبتي، وأعشق الموسيقى وأحب أن يهدي الناس بعضهم بعضاً ورود الحب بالطريقة نفسها التي تخيلها إبراهيم خفاجي.

بحثت عن فاصل بين الكره والملل، أملها فأشتاقها،

فأبقي أحبها بإيمان تام كما يفعل الهندي وهو يدفع من هم بضربه بالعقال، بينما صديقه يدفع بالصوت عالياً فيلتم الناس. خرجوا من صمت لكنه أقل قسوة من صمت حبيبتي.

فجأة التموا ، فنسيت أن أسأل: لِمَ التموا ؟ ورحت أسأل: من أين جاءوا ؟ وكيف؟

أسرات حالماً، يتناثر مني خوف دقيق وقديم، علّي ألتم عليها من أي مكان.

حين استدرت مجتازاً الإشارة، لم أكترث لأتوقف فاضاً تشابك الأعراق. تجاوزتهم في لحظة رعب هائلة. وبعد مسافة توقفت أمام «ستاند» الصحف، تأملتها، متشابهة كلها. مضى وقت طويل لم أشتر فيه جريدة. مددت بصري طويلاً تجاه الإشارة بالضبط، فرأيت العقال مازال مرتفعاً.

حين أرخيت بصري كانت طفلة خلاسية تأخذ بيدي.

ورحنا نسير، نبدد غبش الفجر، وأحس في كفها الصغيرة لسع أسئلة. وهناك ظلت حبيبتي صامتة.

والعقال عالياً جداً. كؤوس الناس أخذت تتبخر في رأسي.

* * *

فـهـد المصبّح

من مواليد 1954 (السعودية)، صدر له صاحب السيارة البرتقالية (1988)، للدموع لغة أخرى (1994)، الأنسة أولين (1998)، الزجاج وحروف النافذة (2002).

فمٌ باتجاه الشمس

شاهد لحمه ينهش بأنياب حادة، بعد أن يهاجمه وحش ويفترسه. تكرر حلمه كثيراً وأخذ يخنقه فيصحو مبللاً بالرعب، لا يجد أمامه إلا الفرار من فراشه؛ ليقع في حلم آخر من أحلام اليقظة يبحث فيه طريقة للخلاص.

لحلمه رائحة الغابات وخشخشة الحشائش عند اصطدامها بالقوائم اللاهثة. غير أن أحلام اليقظة امتنت عليه بحل فسعى لتحقيقه. اشترى مسدساً صغيراً ولأنه يحب النظام استخرج رخصة له بعد جهد مضن، إذ كان صادقاً مع نفسه في سبب حمل السلاح. ورغم ذلك

لايـزال الخـوف يـطـارده. راقـت لـه الـفـكـرة كـثـيـراً وربما سيطرت عليه وانساب مع نهايتها البطولية، فعندما يحتضنه الوحش يقرّب مسدسه الصغير من أذنه. وقبل أن تنغرس الأنياب في جسده يكون قد فجر دماغه.

تدرب على هذه اللقطة كثيراً وكأنه سيؤديها على خشبة مسرح، حتما سيكون هناك شهود للحادث، وسيموت بطلاً أمام كاميراتهم الصادقة، وقد يطول عمره قليلاً ليسمع هاتافاتهم، عندما ينتفض الوحش انتفاضة الموت. ومن حلم إلى حلم، ومن يقظة إلى صحو، لم يقدر على كتب ما اعتراه، فجهر به على حذر لتنهال عليه النصائح:

لا تخرج إلى البر ولو برفقة أحد.

لا تدخل حدائق الحيوان.

في الليل لا تسر منفرداً.

لا تسافر إلى مناطق فيها وحوش.

صار يبتعد في مشيه عن صناديق القمامة حتى لا يباغته وحش متنكر في زي قط. زوجته قالت له:

- اعرض نفسك على طبيب نفساني.

فرد بغضب:

- أنا لست مجنوناً.

- من قال ذلك؟

- أنتِ.

- أردت مساعدتك للتخلص من....

- لا تكملي.

- دع شيخاً يقرأ عليك.

كبر الهاجس في نفسه ولن يزيله شيء. أخذ يتمتم ببعض الآيات والأدعية في سره ويتعمد السير وحيداً ليقتل الهاجس في نفسه. كان الشارع طويلاً والمارة يتكاثرون، لا ظلمة تكتنفه. أول ما فعله تأكد أنه ليس في حلم. الوجوه تحييه. يرد بارتياح. سيارات الأجرة تتقاطر عليه، البعض يسأله عن صيدلية.. حانوت.. شارع.. تحسس مسدسه من فوق ملابسه.. انتزع نفسه من الأفكار ثم عاود السير. شاهد الرجال تخلع ملابسها وتتحول إلى وحوش ضارية بدأت تهجم عليه.

خالد أحمد اليوسف

من مواليد 1958 (السعودية)، أصدر خمس مجموعات قصصية. منها: مقاطع من حديث البنفسج (1994)، الأصدقاء (2004).

انخفضت درجة رارة الطقس وزادت حرارة جسمه شوقاً إليها. هي نقطة حدودية اتسعت مع السنين وتلقفت بشراً وأشكالاً متباينة، يجمعهم البحث عن وجه جديد للحياة. هي مدينته القديمة الجديدة وهي مصدر راحته الربيعية. قفز على صوت الكابح مختلطاً بهدير الجمال وهي تهرول هاربة من وسط الطريق والسيارة تلعب بين يديه لتستقر على كثبان رملي صغير.

سلامات!!.. الحمد لله، الحمد لله، ربي ستر!

رددها كثيراً في داخله، إجابة لصوت سمعه من غير مصدر. كان صوته جافاً يرتعد في مشهد أفزعه أثناء سيره، وقف متلفتاً باحثاً عن قارورة المائ ففيها نبض حياة مفقودة، رآها على الطاولة الثانية فرح بها تناولها وراح يفرغها في جوفه لعل الحياة تستقر. زاد نبض قلبه فتدفق العرق نازاً إلى كافة جسده برطوبته، عاد مسترخياً إلى كرسيه وبيده اليمنى مفتاح التلفاز الإلكتروني، عبث به بحثاً عن صور ومشاهد تريحه وتجلب له النوم المستكين. كانت المحطات على اتفاق في بث أخبار وصور الفوضى البشرية العالمية، الحقد والكره

من الإنسان للإنسان. هكذا شعر، وهو يقلب ناظريه بين المحطات، أغلق الشاشة مرة ثانية.

- لم تكن بعيدة عني، هي حدود ترابية وبعض الأسلاك تفصلني عنها، وهي تحيط بي بأدخنتها وتلوثها وقبل ذلك بأهلها، آه يا عراق يا أرض المجد الخالد، يا تاريخاً لا ينسى، لا ينسى!!

مازال حاضراً بكل حواسه فقد أشعلتها صور التلفاز الحزينة، لم تكن العراق حدوداً أو تاريخاً أو ذكريات في خلده، ولم تكن عاطفة حركتها رياح الزمن، هي في وجدانه وفي قلبه، هاهي تنهض مرة تل مرات كثيرة، وكلما زاد أهله رأى العراق أمامه رغم أنه في وطنه والتوق له لا ينقطع. والده مات منذ زمن بعيد.. لكن لم يمت بعد، مادام نصفه الآخر يشاركهم الحياة! أما والدته فمازالت عروساً مبتهجة بثيابها البيضاء تمشي الهوينى والنساء من حولها ينثرن الفرح والزغاريد، وكلما رأى عرساً جرى إليه بحثاً عنها فقد تكون العروس فهي لم تمت بعد!!، خرج والده في يوم يشوبه الاصفرار من أرض نجد تائهاً على وجهه، والعطش يقتنص موته والجوع

قاتله لا محالة، ومن قفر إلى خيمة إلى بيت إلى قافلة، راحلاً إلى النجاة متمسكاً بالحياة، لا علم له بمصيره ويومه وغده، ودون علم منه فتح عينيه على بصرة العراق، بين مياهها ونخيلها، وحيويتها ونبضها.

مضت به الأيام في مناكبها، وحين صمت الجوع والعطش، تحرك جوع الجسد والروح، بعدما رأت عيناه عينيها وقلبه يخفق لها للمرة الأولى. وفي المرة الثانية كان خفقه بجوارها وعلى عرش واحد ورداء يلفهما بحب نقي طاهر كبراءة الأطفال. سلكت السعادة حياتهما، واختلطت مع معيشتهما، رغم التباين الفكري والموروث الروحي، برغم الطقوس والممارسات التي لم يرها من قبل بين أهله وعشيرته. هام بها كثيراً وعشقت روحه روحها فنسي الترحال والعذاب، دفن الصور والمشاهد التي ينكرها عقله، وأهمل الفروق في سبيل حبه لها.

في يوم آخر اشتعل بين جوانحه حنين الأرض والتراب، وكان لابد من زيارة وطنه وأهله، فالغياب الطويل لا يقطع الشوق أو الرغبة للأرض، هكذا كبر الحب في قلبه، فوعدها بزيارة لن تطول ورؤية وصل

لأبويه لكي تستمر الحياة بينهما. رافقته بهذا الأمل. لم تكن مدينتنا آنذاك كما هي الآن، تتكون من بعض المساكن المتلاصقة والقلوب المتآلفة والضيافة المثلى، هي موطن الراحة للقادم من بعيد، وهي أمان الإنسان للإنسان.

رغب والده أن تكون هذه القرية محطة راحة من عناء الطريق والسفر، فمكث فيها أياماً جميلة، ودون قصد انغمس بين أهلها؛ ليبني وشائج أقنعته أن يمكث وقتاً أطول، ووالدته حرضته للبقاء. فبدايات الحمل دائماً مرهقة للنساء، حيث أباحت له بضرورة من يعتني بها، وحالتها النفسية تلح عليه بالسكن لمدة قصيرة تتجاوز أثناءها الإرهاق، ثم يواصل السفر.

بعد أيام على بقائهما، جاءت من يبحث عن القدرات المميزة والأجسام القوية، وينادي للانضمام إلى مشروعات الدولة الجديدة، فكان التابلاين مطلب للحياة وتحسين أوضاع الرحل والمهاجرين. انضم والده عاملاً في هذه الخطوط النفطية الممتدة عبر الصحراء الشاسعة، وفي إحدى الليالي الحالكة جاء والدته من ينعيه ويشعل فتيل

الصبر على ما ابتليت به، وعلى فراقه. لقد سقط من علو شاهق وقضى نحبه، حمدت الله أن أنفاسه وسط أحشائها، وشذى روحه تحيط بها، وتأملت من يخلفه ليرعاها في حياتها، تحملت البعاد والوحدة كثيراً، حيث لم تجد من يعينها على الارتحال إلى بلادها، فمكثت الأشهر كلها بين الناس والجيران. لم تشعر بعدئذ بالألم والترمل والفراق فقد كانوا أهلاً لها، ورحلة الزيارة تحولت دون توقع إلى استيطان وبقاء وسكن. بعد سكون أيامها واستقرار وجدانها جاءها من يطلب يدها، رفضت كثيراً ونفت الفكرة نهائياً، فحالها لا يسمح بالتفكير بالارتباط، توالى الراغبون لها الجاهلون بوضعها، وتعالى صوتها وفاء للحب الأول والأخير.

كبر الأمل في أحشائها مع نمو الحب والشوق والصبر له. حين حانت لحظات الفرج والخروج والولادة، بدت الأوجاع تترى على جسدها، وجاءها المخاض والنسوة اللاتي حولها في رحلة برية كالعادة. طلبت العون من الله، انغمست في إغماءات الولادة بمفردها، فاضت آلامها أوجاعاً وإرهاقاً، حتى فقدت الوعي. الجنين تحت

قدميها بين الحياة والموت، والدماء تنزف منها مختلطة بآثار الولادة المعهودة.

عند عودة إحدى الجارات باكراً أرادت الاطمئنان على حالتها، فمرت بها، حينما رأت مشهدها المفزع، لم تحتمل لحظتئذ ما تراه، فكانت الصدمة قوية عليها ولم تحرك يداً لإنقاذها، إلا بعض مضي وقت طويل على حالتها، وتوافدت النساء في دارها ليجتمعن على فراق روحها. كان الحبل السري ممتداً لتبقى الحياة ممن فاضت روحه في سبيل البقاء والوجود متجددة للإنسان الجديد، لم تنقطع الحياة عني، ولم تنته الآلام وحركة المسافات والترحال. الإرث منهما أن أبقى في حب لهما ولمن احتضنني من أجلهما، أحبهما رغم جهلي بهما، مجدداً ذكراهما في كل نائبة وزيارة لتراب يضمهما إلى الأبد!

* * *

هـــنـــاء حـــجـــازي

(السعودية). صدرت لها مجموعة بنت (2003).

تعب

أكره الأطباء، وبلاط المستشفيات النظيف واللامع، وكاونتر الاستقبال الذي يجلس خلفه موظفون جامدون وأوراق المواعيد التي لا تظهر دائماً في الوقت المطلوب.

أكره المرض، أكره مرض زوجي تحديداً، وأكره أن أضطر للعب دور زوجة المريض التي يتوقع الناس منها أن يسكن عينيها قليل من الحزن وكثيرٌ من الرضا بالقضاء والقد.

- ألا يوجد أمر علاج؟

- بلى ولكن لمواعيد الصباح فقط، المساء للمواعيد (الكاش).

تشير الممرضة لي بالجلوس داخل الغرفة، أسألها عن الطبيب فتخبرني أن لديه مريضين آخرين، وأتعجب من المكالمة التي طلبت منا الحضور باكراً لأن الدكتور لن يكون موجوداً في الوقت المحدد في الورقة.

أسمع صوت الطبيب الحاد، ويرد إلى ذهني تساؤل لا معنى له، لماذا تزداد أصوات الأطباء حدة كلما زادت أهميتهم، أسمعه يسأل الممرضة كم بلغ عدد المرضى؟ وهل كلهم دفعوا (كاش). وأسمع صوت ضحكة ساخرة ومكتومة يصدرا زوجي، وأتذكر أن هذا الصوت من أهم الأشياء التي لم يفقدها زوجي جراء مرضه، وأتذكر أنها كانت تسبب لي حالة من الضيق أجاهد في إخفائها، وأعرف أن هذه الحالة زادت سوءاً بعد مرضه، أتشبث بالكتاب الذي أحضرته معي، وأهرب فيه من عيني زوجي وأسئلته التي لا يستطيع أن يسألها، أختبئ من سخريته، ومن عدم فهمه، ومن نظرته الضعيفة التي يستنجدني بها أحياناً، أهرب من كل ذلك وأغرس عيني

بحرص شديد في مجموعة لكورتاثار، الذي على الرغم من حرفيته الكتابية العالية، لم ينجح في انتزاعي من كل الأشياء التي أهرب منها. ظللت أهرب، وأحس أنني أهرب، مع أن نجاح الهرب كان يعني أن أستغرق تماماً في القراءة وأنسى كل ما يدور حولي.

طلبت من الممرضة أن أرفع كمي كي تقوم بقياس ضغط الدم، فأجبتها ببرود وبازدراء لا أعرف سببه أنني لست المريض، وأشرت إليه، كانت حالة القرف التي تغمرني شديدة جداً، لدرجة أنني لم أستهجن الطريقة التي رددت بها على الممرضة، مع أن خطأها كان لا يعد خطأ أصلاً، إذا ما تذكرنا أنني أنا التي أعطيتها ورقة الموعد وسألتها عن الدكتور.

انتظرنا ساعة، جاء بعدها الدكتور الذي كان شديد الاعتداد بعدد المرضى الذين جاءوا إليه ودفعوا له (كاش)، أعرف أن هذا الرقم بالنسبة له كل حياته، أن

الطبيب كلما سمع الرقم يزداد ، والفلوس حتى لو لم يأخذها هو فهي تعني أنه مطلوب، أن المستشفى ستعرف أهميته، ولابد أن تقدر ثمنه، وربما رفعت الراتب الذي تدفعه له، لو أنهم يفهمون أو يقدرون، هكذا يردد بينه وبين نفسه.

جلس بطريقته المتباهية وصوته المرتفع، تذكر أنني طبيبة، لكن وللمرة التي لا أستطيع حصرها ، قال لزوجي أنت تكتب عن الاتحاد كثيراً في صفحات الرياضة، كاتب كبير، وأيضاً يردد زوجي كما في كل مرة أنه يكتب في الأدب، ويسأل الدكتور الذي يتضح لي بشكل جلي تماماً أنه لا يعرف أي شيء عن حالة زوجي، إذا كان قد عاد إلى الكتابة، فيجيبه زوجي أن: لا ، وأكون أنا وصلت إلى أقصى حالات القرف، أتذكر الطبيب الأمريكي الذي غادر مرتعباً مما صار يجري من استهداف لقتلهم، والذي كان في كل مرة يربت على كتفي ويبتسم بأسى، يشجعني بنظرته المتفهمة، ويجري العديد من الفحوصات لزوجي، لم يفعل أياً منها طبيبه الجديد بعدد المرضى (الكاش).

ليس هناك حل يا دكتور؟ يقول ي: ليس هناك حل، فليكما نفس العلاج، أخرج من العيادة، اتجه إلى

ناصر محمد العديلي

من مواليد 1951 (السعودية).
صدرت له مجموعة الزمن والشمس اللذيذة (1985).

بقايا الطباشير

كنت معجباً بما يكتبه مدرس مادة القراءة بأصابع

أعجبتني لعبة الطباشير والكلمات التي يلعبها الأستاذ كل يوم والتي من خلالها تعلمت كلمات وجملاً مفيدة.

فكرت أن ألعبها بنفسي مع بعض الزملاء بعد خروج المعلم.. وفي ساعات الفسحة.. كنا نكتب كلمات ذات معان مثل زرع، حصد، باب، شجرة. كما كنا نكتب جملاً غير مفيدة.. كانت ضحكاتنا تسابق الكلمات والجمل المفيدة وغير المفيدة على السبورة، كانت السبورة تغص بالكلمات والجمل، ثم يأتي أحدنا بالمساحة، ويحول السبورة إلى لوحة نظيفة.

نعيد الكتابة من جديد ونضحك معاً وكأننا نملك ثروات العالم كله.

أخبرت صديقتي «مزنة» التي كانت لا تدرس وقتذاك بما نفعل في المدرسة كل يوم مع بقايا الطباشير.

ضحكت وتحمست لمشاهدة الطباشير.

أغرتني حكاية الطباشير ذات يوم فحملت بعض بقاياها وبعد خروجي من المدرسة أصبت بعدوى الكتابة والتعلم.

مررت بمنزلنا وتركت حقيبتي هناك ثم خرجت من المنزل فرحاً ببقايا الطباشير في جيبي.. مررت على باب منزلنا وكتبت عليه «باب».. ثم مررت على الجيران وكتبت على «باب» منزلهم باب.. كنت أكتب بمتعة وفرحة لذيذتين وكأنني أعرف كل شيء.. مررت بالمسجد وكتبت على بابه الكبير «باب».. خرجت من باب المسجد وكتبت على بابه الآخر «باب»..

استمرأت اللعبة ورحت جارياً أسجل تاريخ أبواب حارتنا.

مررت على مزنة في منزلهم وأطلعتها على الطباشير البيضاء والحمراء والزرقاء في جيبي.. تلمّست مزنة الطباشير وشمّت رائحتها لأول مرة.. خرجنا من منزلهم وكتبت على بابهم بالطباشير الحمراء باب.. مزنة.

سألتني مزنة وقالت: ماذا تفعل.. قلت أكتب كلمة باب مزنة.

ضحكت وقالت: إنه باب أبي.. كتبت «....». قالت مزنة ماذا كتبت قلت كتبت اسم أبيك. فرحت مزنة وهي تقول باب مزنة السعد.. ضحكنا معاً ورحنا نكتب

على بقية الأبواب في الحارة وكأننا نعيد اكتشاف تاريخ حارتنا.

بعد عدة أيام تعلمنا في المدرسة قراءة وكتابة كلمات وجمل جديدة ذات معانٍ شتى.. قرأنا قصائد وأشعاراً جميلة..

(بلاد العرب أوطاني

من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن

إلى مصر فتطوان..

بلاد العرب أوطاني)

حملت بقايا الطباشير من جديد إلى منزل مزنة..

حكيت لها الدروس الجديدة.. قرأت لها الأشعار.

غنينا معاً «بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان»..

ضحكنا من جديد..

كان يوماً مطيراً.. ونحن نتجول في حارتنا نسجل على الأبواب كلمات وأشعاراً:

بلاد العرب أوطاني

بلاد العرب أوطاني

كانت مزنة لا تعرف كتابة الكلمات والأشعار.. لكنها كانت تغني الكلمات وترسم الحروف على الأبواب.

كنا نستمتع باللعبة وصوت الرعد والبرق فوقنا..

هطلت الأمطار فجأة علينا.. كانت زخاته شديدة..

مسحت بعض ما كتبناه من حروف وكلمات وأشعار

عبدالكريم محمود الخطيب

من مواليد 1936 (السعودية). أصدر مجموعة أدب من رضوى (1958)، شجرة الليمون (1980).

الحب القاتل

الوقت كان مساءً، أما الضجة فقد جرت بينه وبين زوجته. بدأت بكلمات نابية قاسية من هذه المخلوقة التي اعتبرها شرسة وشاذة الطباع بين الحواءات.

كانت الضجة لها رنين في داخل البيت وخارجه، سمعها أكثر الناس والجيران من خلال النوافذ للدور المجاورة، واستنكروا في تمتمات غير مسموعة طردها له من الدار. لم تكن المرة الأولى فقد طردته أكثر من مرة، وتوسل أهل الحي عندها فأعادته. هرول مسرعاً من باب

الدار يلهب كالكلب لضراوة لكمة، جاءت في صدره أثناء عراكها معه. وقف على عتبة الدار يتحسس أثر اللكم. كان أهون عليه أن يموت ولا تلكمه هذه اللكمة القاسية. أخذ بعد ذلك طريقه إلى المقهى المجاور للدار لعله يهدأ، لم يعد يرى من حاله شيئاً. لقد سئم هذه المخلوقة الزائفة. إنها تكشر له الأنياب دائماً وتسعى لعكننته.

نسي كل شيء من حوله، حتى كاد أن ينسى الطريق إلى المقهى الذي اعتاد أن يرتاده كل يوم أكثر من مرة ليجد فيه متنفساً لنفسه.

أخذ مكانه في (المركاز) المجاور لي ولبعض الأصدقاء، واستطعت أن أبصر في عين هذا المخلوق البائس صمتاً وانعزالاً. حدثتني عيناه ووجهه الضامر أنه يعاني حالة نفسية شديدة. بدأ يشعل السيجارة من عقب الأخرى وهو لا ينظر إلى أحد.. أشفقت عليه من هذا الانتحار البطيء.. كان يتكئ بيده اليمنى على الطاولة ويده اليسرى معلقة في شعر شواربه الكثيفة وهو يبرمها ويحاول أن ينتزعها. أقبل صبي المقهى ليمسح بعض

الطاولات التي تراكمت عليها ذرات من تراب، وأشار إليه إشارة تدل على أنه من الزبائن الدائمين.

أحضر لنا صبي المقهى أكواباً من الشاهي وأحضر له زجاجة ليموناتو. شرب زجاجة الليون وأفرغ كوب ماء في جيب ثوبه الأيمن، ووضع أعقاب السجائر في جيب الثوب المعلق في صدره، وكتمنا أنفاسنا حياءً لسوء تصرفه خشية أن نضحك. أشفقت عليه لما هو فيه من حال، وأدركت أنه مصاب بالعته، وهممت أن أجاذبه أطراف الحديث، غير أنه هم بالانصراف، وانتصب قائماً ونقد صبي المقهى بعض القروش وأخذ طريقه بين (المراكيز) والزبائن كمن أصيب بخدر. قفزت من مقعدي ألاحظه، كانت هناك سيارة مسرعة تعبر الشارع فداهمته محدثة أزيزاً عالياً، وهنا صدرت صرخة مكتومة من قلب الرجل ولفظ أنفاسه الأخيرة. هرول كل من بالمقهى إلى مكان الحادث وفرق البوليس بعضهم، ولكن بعضهم لم ينصرف... ومن بين هذه الجموع انحنى شيخ كبير على جسم الرجل وهو يحتضنه ويبكي ويتمتم بصوت مرتفع «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» سأله البعض أتعرفه؟ فأجاب

قائلاً: هو ابني يسير دائماً وهو ساهم شارد الفكر يفضل الجلوس دائماً في هذا المقهى يبحث عن الراحة. لقد تغير من سنتين منذ تغيرت زوجته معه، فبدأت تعاكسه وتنهره وتطرده من داره وسأله بعض الناس لماذا تغيرت معه زوجته وقال لا أحد يعرف السر، كل ما في الأمر أنها طلبت منه ذات يوم أن يطلقها، وعرضت عليه مقابل ذلك مبلغاً من المال ولكنه رفض، وقالوا له أتراه يحبها؟ قال: يحجبها بولع.

وسرت وسار الناس بعيداً عن مكان الحادث وصوت سيارة الإسعاف يقترب كالنذير لحمل الجثة.

* * *

فـــهـــد الخـلـيـوي

من مواليد 1946 (السعودية). نشر عدداً من القصص منذ مرحلة مبكرة في كثير من الصحف المجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

ريـــاح

لم تعهد المدينة تلك الرياح التي أزّت بعنف قرب شواطئها، مما اضطر أمن السواحل لإصدار تحذير عن مدى خطورة ارتياد البحر.

وردت أخبار من محيطات بعيدة تفيد بأن المدينة ستمنى برياح أشد، وأكد فلكيون بانتقال الرياح من البحر إلى قلب المدينة. كان سرب من الطيور يغرد فوق البحر، ثم دفعته شدة الرياح للتحليق بعيداً باتجاه الصحراء.

أقفرت الشواطئ بعد أن هجرها الناس وظلوا في بيوتهم وجلّ أحاديثهم تدور عن الرياح.

قال كهل يقطن شرق المدينة: «ليس باليد حيلة إنها الرياح»!

ازدحمت بالسماء سحب كثيفة، وكأنها تنذر بحدوث شيء «ما» لكن البعض رجّح بأنها مجرد أمطار غزيرة ستدفع بها الريح إلى أماكن أخرى.

استبد شغف لدى الناس بتقصي كل ما يتصل بمعرفة الرياح، وتوصل باحثون إلى أن كلمة رياح هي أكثر المفردات انتشاراً بالكتب المقدسة، وفي معاجم الأمم القديمة والحديثة.

كما أن الكتب المهتمة بتاريخ الرياح أشارت إلى أن مدناً مشتتة بأصقاع العالم اجتاحتها رياح عاتية، ودكَّت سكونها وبدلت أزمنة بأزمنة وأنماطاً بأنماط.

وأوضحت تلك الكتب بأن بعض الرياح تجري بالفضاء الشاسع وتمتزج بالبروق والأنواء والنيازك، وتنسج مفاصل التاريخ وتبدل رونق الطبيعة، ولكل ريح في ممالك السماء فلك ومدار.

ازداد هيام الناس بالتقاط أخبار الرياح من كل منفذ متاح.

بعض المهتمين عاد به البحث إلى أزمنة سحيقة وروي أنللرياح أساطيرها وطقوسها وهي تضرب بأعماق البحار وتصوغ من ألقها أجمل اللآلئ.

وتجتاح الصحاري وتدك أقوى الحصون، وتهزم أعتى الأباطرة، وتحيل الساكن إلى متحرك والثابت إلى رماد.

وحكى الراوي أسطورة القرية التي نسفتها الرياح عن بكرة أبيها، ولم ينج من أهلها عدا بضعة رجال ونساء تناسلوا عبر الأزمنة وأعادوا بناء القرية بأنساق جديدة بعد أن هبت عليهم رياح، حملت أمطاراً غزيرة جلبتها من سماء بعيدة، وارتوت بعد هطولها الأرض، وأينعت السنابل، وتكاثر النسل وأقيمت الأعراس، وأضيئت الشموع في كل دار وسابلة.

انطوى اليوم الأول من مجيء الرياح بعد أن حاصرت المدينة من جميع الجهات تعامل الناس مع ظاهرة الرياح. تعاملاً ينم عن الاستسلام للأمر الواقع. وفي اليوم الثاني أفاق الناس وإذا بالرياح أشد وأعتى.

صدر عن مرصد المدينة، توضيحاً أفاد بأن المدينة لم تتعرض طوال تاريخها لرياح بهذه القوة والتأثير.

تضرع الآباء والأمهات إلى الله بأن تصبح هذه الرياح، فواتح خير، ومحاصيل رحمة وبركة، وتجنيب المدينة من شرورها وعواصفها المتقلبة.

كان القلق يرتسم على الملامح، خوفاً من انهيار البيوت، والصروح، والأعمدة، لاسيما أن المدينة بنيت على النسق القديم ذي الطبيعة العشوائية، وربما تصبح في مرمى الخطر المحدق، أمام هول الرياح وضراوتها.

* * *

تـركـي العـسيـري

من مواليد 1956 (السعودية)، أصدر مجموعة من أوراق جماح السرية (989).

السـوسـة

كنت حديث عهد بالوظيفة! لم يكن قد مضى على تعييني مديراً لقسم مكافحة الآفات الزراعية وقت طويل. لذا، فقد كنت متحمساً لعملي الجديد، ومتحمساً أكثر لوضع حد لتلك السوسة الخبيثة التي راحت تلتهم أشجار النخل، وتلتهم معها آمال المزارعين البسطاء وجهد سواعدهم المعروفة.

ورغم المسافة من بيشة، حيث أقيم، إلى تبالة لم تكن تحتاج مني إلا إلى نصف ساعة أزجيها في

الاستماع إلى حديث مذاع أو موسيقى هادئة، فقد استيقظت مبكراً على غير عادة؛ لأتقي شر جلبة السيارات القادمة من القرى المجاورة ورعونة سائقيها. تناولت إفطار على عجل، ثم انطلقت بسيارتي القديمة.

كان الطريق مثالياً لمن يكره الزحام مثلي، ولم تكن الحركة قد دبت في الطريق بينما راحت أشعة الشمس تطل بخجل من وراء الأكمة البعيدة. غير أنني لم أكد أبتعد قليلاً عن المدينة، حتى بدا لي من بعيد رجل وامرأة يرفعان أيديهما، يحاولان باستماتة إيقاف السيارات القليلة التي تمر غير عابئة بهما.

توقفت على مقربة منهما، فاندفع الرجل ذو الملامح القروية الحادة نحوي وبنبرة منكسرة قال لي بلهجته الريفية اللذيذة:

أنهما لم يكونا تآلفين تماماً. كانت نظراتهما اللتان رحت أرمقهما من خلال المرآة، تشي بنوع من عدم الرضا والوفاق. رحت أغذي السير، والطريق يمتد أمامي بثقل. ورغم أنهما ظهرا لي كتمثالين حزينين من الخشب لا يكادان ينبسان ببنت شفة، وعلى غير عادة أهل القرى، فقد احترمت صمتهما. ثم لم يلبث الرجل أن مد يده لينتزع شيئاً ما من يد المرأة.. التي لم تقاوم ولكنها رمقته بنظرة مريبة. كانا يهمهمان بكلمات خافتة لم أستبن كنهها ثم مالبث الرجل أن رفع صوته بعد أن استدار صوب المرأة:

- أنت امرأة قليلة أدب، ما فيك معروف!

- ولكني قلت له الصحيح.

- الصحيح.. أي صحيح يا امرأة؟

شدني الحديث فرحت أصغي السمع جيداً إلى حديثهما غير الودي بالمرة.

صمت الرجل قليلاً ثم تابع:

- كان بإمكانك أن تقولي للقاضي حين استدعانا

بالأمس، إن زوجي مقصر في واجباته الزوجية. لقد (فشلنا) يا امرأة!

تشجعت المرأة قليلاً، واندفعت تقول:

- ولكني أقسمت أن أقول له الحق.

- أي حق؟ لقد تمنيت لو انشقت الأرض وقتها وابتعلتني، بل وابتعلتك (واصل بحرقة واضحة).

- لقد فضحتينا. جعلتينا أضحوكة على ألسنة الحاضرين.

- لكن كل ما قلته صحيح يا عون!

- ولكنك أظهرتيني كما لو لم أكن رجلاً بالمرة. صحيح إنني توقفت عن القيام بالأعباء الزوجية. غير أنك نسيت أنني رجل مصاب (بالسكري) وأن (الضغط) يرتفع حتى يزلزل كياني، ومع ذلك لم تقولي ذلك للقاضي. لقد رحت تتحدثين دون أن يعتريك ذرة خجل.

حريم آخر زمن! ألم تخجلي من نظرات (الكاتب) الذي يقبع على يسار القاضي. ألم ترينه يداري ابتسامة

ماكرة طغت على محياه حين قلت (ما فيه ما في رجاجيل يا شيخ)!

أنسيت يا منيرة (أنني والد سالم وصالح ومحمد وهيا وسلطانة) أنسيت أنك كنت وإلى سنوات قريبة تفرين مني كل ليلة. ولطالما شكوتِ من آلامك، ومتاعبك، وعدم قدرتك على الوفاء بالحقوق الزوجية. أنسيت أنني لم أشك لأحد غير الله؟ كنت أئد النار المتأججة في مساماتي وأوردتي، وأقول غداً تشفى (أم عيالي)، وتريحني!

كان بإمكاني أن أؤذيك.. أن أداوي أمراضك بامرأة أخرى. نعم، ولكنني صبرت، وأستاهل (قالها بنبرة حزينة)!

صمت الرجل، وخبا انفعاله قليلاً، وعندها رحت أرقب ملامح شفتيه المزمومتين.. وأعجبني أن المرأة لم تعر صراخه أي اهتمام. بدت هادئة إلى حد ما. كانت نظراتها ساهمة حيناً. وحيناً تدفعها إلى محيا الرجل الستيني عندما يعلو صراخه.

وبدا لي أنها تملك (سطوة) معقولة، خاصة عندما

يتمادى زوجها في الصراخ، فتشير إليه أن يصمت، مراعاة للرجل الغيب، الذي هو أنا! فلا يملك إلا أن يزدرد ريقه ويصمت على مضض!

وحين بدت (تبالة) تكشف عن وجهها القروي البسيط، كانت أشعة الشمس قد ارتفعت قيد رمح. وكان الفلاحون ينتشرون بين مزارع النخيل، التي بدت لي وقتها كئيبة مصفرة على غير عادة. عندها توقفت في وسط الشارع الرئيس للقرية فاندفعت المرأة إلى خارج السيارة، وهي تحكم من وضع شالها المسدل على وجهها، بينما راح الرجل يتبعها بخطوات وئيدة، وكنت أتساءل وقتها وأنا أراقبهما عبر مرآة السيارة وهما يبتعدان عني ببطء عما إذا كانت تلك (السوسة) اللعينة قد امتدت أيضاً إلى سكان هذه القرية الجميلة.

* * *

حكيمة الحربي

(السعودية)، تكتب بتوقيع «لميس منصور». صدر لها حلم في دوامة الانهزام (1998)، نبتة في حقول الصقيع (2002)، سؤال في مدار الحيرة (2002)، قلق المنافي (2004).

الرايس (*)

كان الوقت ظهراً حينما اتجهت إلى شاطئ الرايس ذلك الشاطئ البديع، الذي يقع في منطقة هادئة وجميلة، بعيدة عن المرتادين وأعين المتطفلين! ولاسيما في هذا الوقت الذي يشهد تحسناً ملحوظاً بالطقس.

اتخذت مكانها على إحدى الصخور المحاذية للشاطئ، حيث تشعر أنها بمأمن من ملاحقة الفضوليين، ممن لا تريد رؤيتهم أو مصاحبتهم في إقامتها أو تجوالها!

*) الرايس قرية صغيرة تقع على البحر الأحمر.

أحست بشيء من الارتياح، وهي تجد الهدوء الذي كانت تفتقده طوال الأشهر الفائتة. وزاد من طمأنينتها إحاطة النوارس بها بمنظرها البديع المسالم، فيما أطلقت لنظرها حرية التحديق بتكسرات الموج، وقفزات الأسماك الصغيرة.

انتابها شعور بالحاجة إلى البوح بما يعتمل داخلها لصديقها البحر أو هكذا شعرت ربما تعقد صداقة مع البحر بعد أن تعددت خيباتها مع البشر!

ربما هو الوحيد الذي يتسع لبوحها وحزنها وهمها.

وبينما هي مطرقة تفكر، أفزعها صوت قادم من بين الصخور، مالبثت أن تبينت هيئته، رجل عجوز طاعن بالسن يتوكأ على عكاز عتيق!

رأت شبحه وهو قادم إليها، حاولت النهوض ولكنه لمحها، ولوح لها بيده محاولاً تهدئتها وحينما اقترب منها بادرها قائلاً:

لا تخافي يا ابنتي!

كيف تفزعين من رجل طاعن بالسن، يساعده على المسير عكاز عتيق!

لقد وهنت قوته، وفترت عزيمته، وولت إرادته مع شبابه الذي مضى!

حدقت به طويلاً، وقد تملكتها الدهشة، وهي تتساءل بداخلها:

من أين أتى؟

هل هو حقيقة أم وهم؟

هل هو من البشر أم من الجان؟

ولكنه أرجعها إلى الواقع بقوله مبدياً ملاحظته:

لقد لاحظت ترددك على هذا المكان بين وقت وآخر وحيدة!

ثم أردف قائلاً وهو يبتسم:

ظننتك حورية من حوريات البحر!

وكنت أرقبكِ من بُعد وأجدك تخاطبين البحر وكأن بينكِ وبينه علاقةَ سرمدية! وقد حرت كثيراً لأمرك، وأنا أتساءل بيني وبين نفسي ما قصة هذه الفتاة! وما الذي دعاها إلى أن تأتي إلى هذا المكان المنعزل البعيد بمفردها!

وبينما هي مازالت تحدق به محاولة أن تثبت لنفسها أنها أمام حقيقة وليس خيالاً، قال لها:

اعذري يا ابنتي تطفلي هذا، لم آت هنا لأقتحم عليكِ خلوتك، وأنت من أتى إلى هنا بحثاً عن الراحة والهدوء، وبعداً عن الضوضاء وضجر المدن!

ولكن ربما أنت بحاجة لحديث تفضين به لشخص صهرته الأزمان، وعلِم من التجارب والخبرات ما ينقصك لحداثة سنك كما يبدو لي!

هنا استجمعت شجاعتها وقذفته بكلماتها الحادة:

- وماذا يهمك من أمري؟ وما الذي دعاك إلى أن تتلصص علي..، وأنا من اخترت هذا المكان، لأنأى عن الناس وفضولهم!

- اعذريني يا صغيرتي، ما كنت أريد أن أتطفل عليكِ أو أزعجكِ بشبح هيكلي الذاوي! ولكن الإنسان طبعه الفضول، وقلت يمكن أن أفيدك بشيء! ولكن.. سأتركك لعالمكِ ولن أزعجكِ بمقدمي بعد اليوم.

لاحظت طيف حزن وخجل يرتسم بشكل جلي على سحنته!

ثم قالت له بلطف ولين:

يا سيدي الفاضل أنا نجمة الضياء، منزلي السماء، لقد فقدت ثقتي بالبشر، بعد أن حولوني إلى حطام، ونحروا أحلامي، وصلبوا روحي المتوثبة ولم يبقَ مني إلا هيكل إنسان! لذا، أنا لا أصادق إلا الطبيعة؛ البحر، والطيور، والحيوانات، والأفلاك.

هز رأسه بتأثر واضح. ثم واصلت الحديث:

لقد سلطوا علي ريحهم العاتية، وهدموا كوخي الذي بنيته ذات حلم، وسلبوا ردائي، الذي يقيني من حرارة الصيف اللاهب، وبرودة الشتاء القارس، ويستر عُري الذات لحظة هبوب ريح عاصفة!

أحدثوا ثقوباً وفتحات متعددة في السور المحيط لكوخي، لتتسرب منها حشرات نفوسهم السامة؛ لتزعزع أمن وطمأنينة كوخي الهادئ، ومن الطريق ذاته تخترق سهامهم لتقتل روح الإرادة والعزيمة الشامخة داخلي!

وحينما فقدت الكوخ، والطمأنينة والرداء الساتر، وضعوا جمرة اللوعة بفؤادي، وتركوا الحسرة تأكل من

روحي حتى وهنت، وألقوا بي بوادي الانكسار في دياجير الخوف ودهاليز الضياع، حيث البرد والريح والعتمة والوحدة!

لونت الأرض بدم جروحي النازفة، وسقيتها بدموعي الحارقة، واهتزت متضجرة من عويلي وآهات روحي، وأنات فؤادي.

- ياه! كيف نجوتِ من كل هذه الحرائق؟ إنك قوية يا بنيتي، لا تخافي، ستشرق الشمس ذات يوم، وستكونين أنتِ من ينتصر على الواقع الكئيب، وستنهضين ذات إرادة، وسيكون مصيرهم قبور الندم، ومدافن الذلة ... ولا تقفي على

أحداً أمامها. دعكت عينيها لتتأكد ولكن دون جدوى.

المكان خالٍ إلا مـن الصخور وصوت البـحر الـهادر وطيور تحلق بعيداً حيث تجلس.

بدأ الغروب يلقي بردائه الأرجواني ليلون مسا ءات هذا المكان النائي عن الصخب، ويجعله أكثر فتنة وسحراً.

شعرت بالبرودة تتسرب إليها ، وضعت شالها على رأسها وارتدت معطفها وذهبت حاملة حزنها إلى مكان آخر على مقربة من الشاطئ ليضمهما معاً!

* * *

سلوى أبو مدين

(السعودية). صدرت لها مجموعة أنين الكلمات (2003).

وجه الرماد يشبهني

انسكب الخوف دفعة واحدة على وجهي، وأنا أجاهد جسدي المثقل ويديّ المرتعشتين، والشهقة تعلو صدري.

ألقيت بجسدي على مقعد خال، والصمت اختار المكان، إلا من آهات تصدر بحرقة من بعض المرضى المتعبين!

وجه لا أذكره يطل من خلف النتوءات بابتسامة تحاول التخفيف عنّي. شخصت ببصري.. كادت الحروف أن تخرج وتراجعت في اللحظة الأخيرة!

الهدوء يعصف بالحجرة إلا من صوت تمزيق البلاستيك الذي غلف غبر المحاليل.

عاودت تلقي بنظرات اللامبالاة إلى ساعة معصمها. وتلقي تنهيدة طويلة أطبقت على صدرها.!

خطوات بطيئة.. عادت على غير العادة.. بيدها حامل عُلّق به أنبوب طويل. صوت نفس مزق الصمت. لا.. أحد هنا سوى آهاتي المتعبة.!

قناع ملوّن سقط أمامي، مسافة طويلة أقطعها، سحابة سوداء تغطي وجهي، أسافر خلف شطآن الخوف!

انتظار ممل، ضاق بي المكان..!

في لحظات تغيرت معالم الأشياء، وغرقت في رحلة الألم الممض.!

لا أحمل فوق سريري الأبيض سوى لون وجهي الذي اختبأ خلف صدى الخوف..

تعابير مشطورة تظهر، أحتسي مرارة الوجع.!

أترك لجرحي العنان.

وخز يقطع وريدي.. يسري في ماءٍ لونه أسود، أسود من الليل.. تكاد الآهة تشق صدري، أبتلعها..

ما بين الخوف والفرح.. أبقى وحيدة على قارعة الوجع..

أحترق.. الإعلان عن النسيان بات محالاً..

لم يعد هناك ما يحتفى به سوى لحظات مخنوقة تحتضر.

سكنت الليلة في قاع نفسي، بحجم الوخز.. الذي حفر أنيابه في وريدي..!

أما القوارير المحاليل فاستلقت مثل جسدي فوق رف..

مع وجوه كانت هنا.. ونسيها الطريق.!

كل الألوان مُسحت إلا لون الألم. يقبع في ذاكرة الزمان.!

لم أعد أرى سوى.. وجهه الرمادي.. الذي يشبهني.

من بقايا الظمأ.. يبحث عني..

أرثي نفسي.. من خلف فصول الألم.

أرتشق آخر مشهد للسواد، وأبحر في مدن العطش الثكلى.

ليلي تأخر، وأوردتي تنتظر الإفراج.

أحمل حقيبة المفردات، وأغدو بين شوارع خرساء، ولا أرى سوى وجه واحد يعصف بي، وجه الرماد، يطل من خلف الكهوف.. ليعلن آخر فصول الوجع.

* * *

تركي إبراهيم الماضي

من مواليد 1973 (السعودية)، نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات. يعد لإصدار مجموعته الأولى.

ما قبل اليوم

بينما أفتح عيني ببطء شديد، أسمع همهمة أناس، ولغطاً كثيراً. بعض الأصوات لأبي، وأعمامي، وأخوالي، وآخرين لا أكاد أميز أصواتهم. ربما يستقبل أبي كعادته إخوته، وأصحابه، ضحى كل يوم في مجلسه الشعبي بفناء المنزل. الظلام يلف ما حولي، اعتدت أن أضع ستارة سوداء على نوافذ غرفتي، لتبدو الغرفة مظلمة في النهار، فأنا كائن لا ينام إلا في النهار، ولكن هذه الظلمة التي تحيط بي، أكثر مما اعتدت عليه.

أشعر بخدر شديد في أجزاء جسمي، لا أستطيع أن أحرك حتى أطراف أصابعي. الغرفة تبدو ساخنة. أتذكر أن انقطاع الكهرباء في مدينتي حدث يومي. أظل مستلقياً دون حراك.

مساء البارحة مثير في أحداثه. رسمياً، أصبحت شخصاً متزوجاً. حضر حفلة خطوبتي، أهلي، أصدقائي. ظللت مرتبكاً طوال الحفل. لم أعتد بعد على لبس (الشبت). ضحك صديقي عندما رآني ألبسه بطريقة مضحكة. استغليت فترة العشاء، فنهضت من مكاني مبكراً، أمام دهشة الحضور، ولم تفلح توسلات والد زوجتي في إبقائي لي مائدة العشاء، فأنا لم آكل شيئاً. انتظرت صديقي طويلاً، وعندما رأيته، ارتميت عليه، ألبسني البشت على عجل، فيما هو يضحك ببراءة.

لم توقظني والدتي صباحاً؛ لأشرب معها قهوة الصباح. والدي يفضل أن يشرب قهوته الصباحية مع إخوته. ربما أرادت أمي متعمدة أن تبقيني نائماً أطول فترة ممكنة.

لا أشعر بعد بأجزاء جسمي، سأذهب اليوم إلى

الطبيب لأتأكد من وضعي الصحي. لاأزال أسمع همهمات تصل إلي، ولا أستطيع أن أتحرك من مكاني. هاتفت البارحة زوجتي. سألتني عن الحفل، ولم تكتم ضحكة خرجت من أعماقها، لحظة أن روت لي عن أخيها، كيف أن ارتباكي، ولبسي للبشت، محل تندر الآخرين بالحفل! تحدثنا طويلاً، واختلفنا بشأن تأثيث منزل الزوجية، أصرت أن تختار بنفسها، وفضلت أن أختتم المكالمة بهدوء: يصير خير إن شاء الله.

لم يحضر أخي التوأم حفلة خطوبتي، عيناي تسمرتا أمام مدخل المجلس. دعوت الله أن يحضر. التفت والدي، ضغط بقوة على يدي، سألني: لماذا لم يحضر أخوك؟ لم أشأ إخباره بأنه سافر مع «شلته»، وأن عابي لم يملأ قلبه إلا عناداً. تلعثمت أمام أبي، لم يكن يستحق مثل هذا العقوق، قلت له بعد تردد: لا أدري! سمعته يقول: الله يستر، الله يحفظه من كل مكروه.

أحسست بالحرج، وبالقهر، ونظرات الحاضرين تتربص بأبي: كيف لم يحضر ابنه؟! تلفت، كل ما حولي ظلام، وبياض يحيط بجسدي النحيل، أحاول الحراك فلا

أستطيع، هل أنا أحلم؟ أسمع الهمهمات تتباعد عن سمعي شيئاً فشيئاً، أصوات تحرك الأقدام تشكل رعباً، أشعر بها، أسماء بكاء أبي، ونشيج أخي التوأم، يقول بتعثر: لقد حلمت بفقدانه قبل يوم. عمي يصرخ باسمي. جارنا أبو محمد يصيح: ما يروح إلا الطبيب! شاهد من آخر الظلام نوراً يضيء المكان تدريجياً، يخرج من النور مخلوقان، ترتعد فرائصي، لم أر مثلهما أبداً، أتأمل مكاني مرة أخرى، لم تكن غرفتي، يقترب المخلوقان أكثر فأكثر، أصرخ: رحماك ربي.

* * *

زوينـــة خـلـفـان

من مواليد 1976 (عمان). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعتها الأولى تحت الطبع.

مـاء وجـه

أتطلع للنهار باهتمام كبير، أقيسه بالظل.. يذكرني ذلك بالأيام الخالية في بيتنا البعيد.. إذ يبدأ الظل كبيراً ومتوازياً مع المبنى الإسمنتي المتقشّر للمنزل، ثم يتضاءل مع تقدم النهار حتى يختفي تماماً.. كنت أحسب أن الجدار يبتلع الظل لينتصف النهار وندرك أنه وقت الصلاة والغداء.. والآن وبعد كل هذا العمر وما تبقى منه، أجدني أغذّي نهاراتي الأثيرة بمتعة خاصة، ليس الصغار وحدهم قادرين على الاستمتاع بالحياة، إنني

شيخ يتوكأ على عصاه ويهش بها على أيامه بيد أن متعتي الخاصة لا يعيها ولا يدركها سوى من تعثرت خطاه وتغضَّنت سحناته.. إنها - متعتي - ليست كدراجاتكم أو سياراتكم التي ما إن تنطلق بجنون، تخطئ تقديراتكم وتقذف بكم فتاتاً.. برأيكم كيف تفسرون عمري الممتد هذا ؟!

تبدأ متعتي حين تعربد الشمس وتسقط أذرعها من نقطة لامرئية في الأفق، وتلتمع الشوارع الإسفلتية بألوان فسفورية حادة.. إنك تمقتون هذا الوقت من النهار.. تسرعان إلى أسرتكم مخلّصين أجسادكم مما يلتصق بها، ناشدين نوماً مترفاً قبالة هواء زائف ومستهلك.. لكنني في الخارج، سيد الفضاء. أتآخى مع الشمس، ولي كل يوم موعد معها..

العبوات الخضراء تتفاعل مع اللهب وتتكاثر، أرى ذلك من مسافة ليست ببعيدة عن أول برميل فضي صادفني، وفي هذا البرميل بالذات تتضاعف العبوات

فقراً وكرماً.. العبوات هنا تتناثر بشكل لافت قرب البيوت والبراميل، وتندس بينها عبوات أخرى ذات ألوان مختفة لا تروق لي أبداً.. إن العبوات الخضراء مستهلكة أيضاً ومستوردة، لكنني أعيد خلقها بطريقتي لتغدو حقيقة وأصيلة.. لا يعنيني ما يفتنكم بداخلها.. إن اخضرارها كاف لإمدادي بالقوة.

تمتد جولتي النهارية إلى حي الأثرياء المطل على الشارع العام.. أتقدم بشوق أكبر نحو البراميل المصفوفة بعناية عند كل منزل.. ينسل من وراء أحدها قط هرم، يبدو أن يومه لم يكن مجزياً.. وعلى مقربة منه برميل آخر تبتعد امرأة، عائدة إلى منزلها بعد أن أفرغت حاويتها في البرميل..

أمام هذا المنزل يرفتع بناء ضخم تسوّره قضبان حديدية سوداء، ويبدو من جدة منظره وصفاء ألوانه أن الشمس لم تنل منه بعد.. فجأة ينفرج بابه الضخم عن سيارة فارهة تقل امرأة في منتصف العمر.. تغطي ضلفة باب المبنى اليمنى نصف السيارة، إذ يبدو أنها توقفت لأمر ما.. وكان برميل المبنى يلتمع غير بعيد عن ناظري.. أخذت أتقدم بتعثر حيث إن إحدى قدمي

عـرجا ء.. وفـيـما كـنـت أنقـل خـطـواتي قـرب الـسيـارة الفارهة، وفيما كانت عبواتي الخضراء تتصادم داخل الكيس محدثة ذلك الرنين الحاد الذي أحب، أبصرت رجلاً ستينياً ينقر زجاج نافذة السيارة، يد بيضاء ناعمة ومنقوشة بالحناء تمتد من فوق الزجاج الذي كان ينخفض ببطء، وتناول الستيني ورقة نقدية فيما يناولها بدوره كتيباً صغيراً.

«فرح قريب سيأتي، ولك أخ سينجح بعد عناء ويأس، لكن احذري! ثمة عين شريرة تحوم في بيتكم منذ ثلاث سنوات.. إنها عين امرأة أعرف اسمها. إليّ بخمسة ريالات وسأدلك على اسمها وعنوانها.. ولك كل هذه الكتيبات المباركة، وليحفظك الله من كل سوء».. ابتسمت المرأة وارتفع زجاج النافذة ليختفي وجهها تماماً.

حثثت السير ووصلت إلى حيث البرميل، كنت أهم بوضع عبوة داخل الكيس التقطها بلهفة من عتمة البرميل، حيث زمجرت سيارة بقربي.. التفت ورأيت ذات المرأة تلوح لي بورقة نقدية من نافذتها.. تواتر هطول العرق في أنحاء جسدي كما توالى تدحرج العبوات الخضراء خارج الكيس.. تبلل الرصف بالعرق وامتلأ

الشارع بالعبوات الخضراء.. الخضراء فقط.. أما الورقة النقدية فقد فرّت مع الهواء.

* * *

بسام علي شمس الدين

(اليمن). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

اللعب الأخضر

جاءتني صحوة عجيبة وقررت أن أقتل وقتي في الحدائق والمكتبات العامة والمقاهي الشعبية، أذعنت آخر الأسبوع إلى رغبتي الملحة بأن أجوس شارع باب السباح القديم. كان عليّ أن أقف بانتظار الباص على جانب الطريق.. أحسست أن بجواري فتاة ترتدي بالطوها أسحماً كلون الغراب، وصورتها تقبع خلف قناع أسحم أيضاً... وكذا رجل أشعث ذو هندام شعبي تقليدي.. وجنبيته المعوجة تكاد أن تسقط بسبب ضعف حزامها

ورثاثته.. والسيئ فيه أن وجنته منتفخة بفتات القات، فغدت هيئته مأساوية مزرية. أتى الباص ووقف بمحاذاتي، لكن ذلك الرجل المنفوخ الوجنة كاد أن يسحقني عرض الباب، إذ نط عشوائياً ليصعد غير مراع وجودي في مكان ضيق لا يسمح بمرور أكثر من شخص، أطلقت تذمري من ع مله لكنه أصدر بلبعة لم أفهمها.. وكأن ألفاظه خرجت من خرمي أنفه لا من فمه. صغرت عينا الفتاة وبدت وكأنها تضحك على موقفي مع الرجل، فتمنيت لها الهليكة لأني كنت في حالة هياج، وسرعان

بارد... أشعل صاحبي لفافة سيجار من نوع (بيزنز) غير محلية الصنع ولكنها في غالب الظن ممنوعة لأن رائحتها كريهة للغاية وقد تكون تالفة. تطايرت السعلات والتذمرات.. والرجل خارج نطاق الوعي وكأن الأمر لا يعنيه.. مع أن الصيحات والأصابع تشير إليه بصراحة، فاكتفى بفتح النافذة فقط. بعد هنيهة انقشع ضباب الدخان حين ألقى الرجل بعقب اللفافة إلى الخارج وصاحب الباص، السائق، يتلفت عليه يتصيد راكباً ووجنته هو الآخر كالبالونة توشك على الانفجار.. دفعني الفضول أن ألتفت حولي، فرأيت سبع بالونات أو أكثر في وجوه كابية محبطة تتحرك باطراد. أخرج رجل يحمل بالونة رأسه من النافذة وبصق في الهواء. وبفعل السرعة والرياح عادت بصقته إلى داخل الباص لترتطم بصلعة رجل يتصفح جريدة الميثاق، فأسعفته بمنديلي الخاص من قبيل المواساة فمسح البصقة وهو يهدد ويصب اللعنات ويقول مشيراً إلى الجريدة:

- اللعنة عليك يا صاحب البصقة وعلى هذه الشجرة التي تلوكها. أين عين أمين عام الحزب؟

أراد صاحب البصقة القابع خلفي أن يعتذر ويسهب في الأسف، لكنه حين تفوه نثر فتات القات وشظاياه فوق رأسي ومعطفي، فأنبته بشدة على فعلته فأراد أن يعاود الاعتذار، فأطبقت بيدي فمه وتوسلت إليه أن يصمت لأني قد صفحت عنه إذ لست متعشماً لمزيد من فتات القات. فمت بعدها بتنظيف ما علق برأسي ومعطفي بلا منديل، وعدت إلى الرجل الأصلع لأقول له مداعباً:

- يا أستاذ! ما علاقة الأمين العام بهذه المشكلة؟

الكل مسؤول يا أخي! الحاكم والمحكوم، والحكومة ومجلس النواب.. ينبغي أن نضع حداً لهذه الشجرة اللعينة.

- أشعر بأني أعيش في زريبة مواشي تأكل الحشائش.
قالها في غضب بالغ، فرد عليه صاحب البصقة محذراً:

- أمسك لسانك يا محترم وإلا فلقت صلعتك.

- انظر إلى المرآة.. يا الله ما أقبحك! وهذه الكرة الخضراء تلتاك في فمك.

- خذ يا أقرع الرأس. تحولت المهاترة إلى اشتباك بالأيدي.

ما أبشع معركة تدور رحها في باص سريع يمشي فوق إسفلت مرضوض تغشاه فجوات ومطبات كثيرة. تضررت ومن حولي بأضرار جسيمة ولاسيما أنا والشاب الذي يشاركني المقعد. أما المتشاجران فكانا سليمين نوعاً من الإصابات، لأني كنت وصاحبي ميدان المعركة لهما، ولأن مقعدنا يفصل بينهما تماماً. بكت المرأتان وارتفع الصراخ، والسائق لازال في غيبوبته يتمايل طرباً لصوت كاست أيوب وأغنيته «ماهلنيش بين الهنا الأفراح». طارت نظارة الرجل الأصلع ونط من باب الباص المفتوح إلى الخارج حين رأى الرجل صاحب البصقة يسل جنبيته في حين انفجرت البالونات الصماء المليئة بفتات القات، وشعرت بنفسي أطير في الهواء وأجساد الركاب مغسولة بعصارة القات ملوثة بفتاته. وشب حريق هائل طال السيارات والمحلات التجارية والعمارات والأحياء السكنية في المدينة، واختلط صوت سيارات الإسعاف بصوت دوريات الشرطة. ولكنها جميعاً لم تستطع فعل

شـيء، إذ كـنـا فـي تـلـك اللـحـظـة نمـوت دون أن نـشـعـر ونحترق دون أن ندري بلهب أخضر.

* * *

خـديـجـة الحـربـي

(السعودية). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

حلم نيسان

متى يأتي شهر نيسان يا أمي.. انتظرت طويلاً.. نظرت لوالدتي وهي مازالت تحتضنني وتلعب بخصلات شعري المنسدل على كتفي.. طرحت سؤالي مرة أخرى على مسامعها ولم أدرك أنها تبحر في التفكير ولم تعد تشعر بمن حولها.. احتضنت يديها.. أمي.. أمي.. التفت إليها وقد ارتسمت على وجهها نظرة حزن لم ألفه في محياها الحنون.. ردت بصوت مليء بالشجن: ماذا يا ابنتي؟؟ أمي متى يهل علينا نيسان.. حكيت لي

كثيراً عن همساته اللطيفة.. نسيمه العليل.. عن رائحة زهر الليمون.. والفراشات الملونة التي تحلق حول المصابيح تضم العشاق وأحاديثهم.. وهم يتبادلون الهمسات وأجمل الحب.. متى يأتي.. متى؟؟

سيأتي نيسان عندما تكونين أجمل عرائس القرية.. عندها سأتوج شعرك بزهر الليمون.. ستفوح رائحته العبقة في شعرك.. ستلاطفك نسماته العليلة وتهمس في أذنك: أنت أجمل عروس شهدتها القرية.. انتظرت كثيراً متى أتوج عروساً في شهر نيسان.. متى تزرع والدتي أشجار الليمون؟؟ ومتى أغرس زهرها في شعري.. وأنا ألعب في النهر المتدفق بجوار منزلنا.. لم أكن أعرف من حديث والدتي سوى ما يتعلق بالحلم الذي انتظره..

في يوم ما شعرت بحركة غريبة في المنزل.. عرفت بعدها أن هناك من جاء لخطبتي.. رجل تخطى شباب العمر والقلب.. أراه كثير الشبه بوالدي رحمه الله، رغم أن ملامح وجهه تفتقد للحنان الذي كان على محيّا والدي. لم أهتم بكل هذا قفزت عيني لتبحث في عينيه

عن صورة لأشجار الليمون.. لم أر شيئاً!! لا تفوح منه رائحة الأزهار التي حلمت بعطرها وكنت أنتظر اليوم الذي أستنشق فيه عبيرها الحقيقي.. شعرت بانقباض وضيق. سارت الأمور بشكل سريع.. لم أدرك إلا وأنا معه يحيط بنا أربعة جدران مطلية بطلاء فاخر، وسرير واسع يتوسع الغرفة.. وأشياء كثيرة لم أرها من قبل.. ألقيت نظرة سريعة على محتويات الغرفة وأخيراً سقطت عيني عليه وهو يبتسم ابتسامة صفراء كثمر الليمن.. تحسست شعري.. أين طوق الزهر الذي وعدتني به الدتي في يوم زفافي.. لا أشعر بتلك النسمات الباردة.. ولا لهمساته في أذني.. سألته بحياء: هل نحن في نيسان؟؟ أجابني: هل تحبينه؟.. نظر إليّ ليجد إجابة سؤاله ترتسم على وجهي.. قال لي يهمس: سأجعله كل شهورك.. أغمضت عيني وأنا أشعر بأنفاسه الحارقة تلفح وجهي وغصة لم أعلم لها تفسيراً. استيقظت على شعاع يتسلل من النافذة ليسقط على وجهي ويغسل جسدي الذي بدأت أتحسسه وأشعر أنه لم يعد كما عهدته.. أسرعت للحديقة أبحث عن هواء نيسان.. همساته.. نسيمه العليل.. لم أجد شيئاً.. لم أجد أشجار

الليمون ولم أر زهرها.. أخذ يهدئ من روعي ويطمئنني بأنه مازال على عهده وسيزرع أشجار الليمن ويضعه في شعري.. بينما كان كل ليلة يذكرني بوعده ويحدثني طويلاً ليقطف التفاح من جسدي وينام دون أن يلمس مشاعري. عندها أتكون على أقرب مقعد بجوار النافذة أتأمل حديقتي التي فقدت حيويتها مثلي.

في يوم ما.. والنساء حولي يلتحفن السواد.. وأنا أنظر إليهن متعجبة وهن يلقين على مسامعي كلمات العزاء.. كنت أسأل نفسي هل تلبس النساء السواد في هذا الشهر؟؟.. ما الذي يحدث حولي.. وقفت بينهن أنظر لوالدتي.. أسألها بصوت مرتفع: أمي.. هل جاء نيسان.. هل جاء؟؟ أنا لا أشم رائحة زهر الليمون، لا أشعر بنسمات باردة تلفح وجهي.. لا أسمع همساته في أذهني.. التفتت النساء إليّ، نهضت والدتي مسرعة تحتضنني وتبكي.. أغرقتني بدموعها.. لِمَ تبكين يا أمي.. لن يأتي؟! لن تصافحني نسماته وتقبلني.. احتضنتني بقوة حتى شعرت أني ذبت فيها.. خارت قواي، بكيت معها.. بكيت بحرقة.. شعرت بنفس

الغصة التي لم أجد لها تفسيراً في يوم زفافي.. فهمت كل شيء.. كل شيء.. تأملت وجه والدتي.. كل الوجوه حولي صفراء.. الجدران.. السقف والسماء، وحتى حديقة منزلنا.. التفت حينها لوالدتي سألتها بصوت واهن: متى يحين شهر نيسان؟؟.

* * *

مـصـلـح
جـمـيـل

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

معركة صغيرة جداً

بعيداً عن مدينتك وعن الروتين المميت، تهرب إلى هناك، حاملاً حقيبتك الصغيرة، تتجول في المدينة الواسعة، التي وصلت إليها قبل ساعات. تلتقط عدسة آلة التصوير التي معك، كل ما يجذبك وما يدهشك من (نوافير مياه، تماثيل عارية، مبان شاهقة، طبيعة خلابة..)، وتمضي مستمتعاً بكل شيء، تشعر بأن الجميع لا يهتمون بك، تعودوا على كل السياح، لا يبالون بما تفعل ولا يكترثون بأسئلتك!

لا ترغب في استئجار سيارة أجرة، فقد تعودت على المشي في المدن التي تسافر إليها. «التجول مشياً على الأقدام هو متعة السياحة» تردد هذه الجملة في كل رحلاتك إلى ما وراء الحدود، وتمضي من ميدان إلى آخر، وتقطع شارعاً بتجاه آخر، ملابسك جعلتك لا تبدو غريباً بنين آلاف البشر هنا، قطعتان من القماش تستران جسدك ونظارة سوداء وحذاء رياضي جعلت الجميع متشابهين. تبتسم للبشر بكل حب، تريد أن تسأل كل شخص وترغب بالتحدث مع كل المحيطين بك، السفر يجعلك سعيداً دائماً، وهذا يومك الأول هنا، وقد وعدت نفسك بأن تحاول قتل مشكلة اللغة بأن تحمل معك كتيّباً صغيراً (اللغة الإنجليزية للمسافرين) تبحث عن معاني الكلمات ثم تنطقها بشكل مضحك ولكنها تفي بالغرض، وتمضي لاكتشاف كل الأشياء.

في ساحة واسعة أمام متحف عتيق، وجدت الكثير من كبار السن يجلسون تحت أشجار طويلة شاهقة، استطعت أن تفهم منهم بمساعدة كتابك أن لهم ذكريات أليمة مع الحروب، وجلوسهم أمام المتحف يذكرهم بأمجاد الاستقلال والانتصارات، لكنك لا تفهم لماذا يبدون

مشردين، جياع، يجتمع كل أربعة أشخاص حول طاولة شطرنج غير مكترثين بما حولهم. هنا كتابك يقف عاجزاً عن شرح المعاناة الحقيقية المعقدة. تسألهم عن ساعات عمل المتحف وتبدي لهم رغبة في التعرف أكثر عليهم وعلى تاريخهم، يفرحون بذلك، تشعر بأنك سائحٌ راق ومتحضر، يخبرونك بأن اليوم هو بداية عطلة الأسبوع والمتحف لا يفتح في أيام العُطل، تكتشف بأنك ماتزال تحتفظ بتقويمك المحلي، يُبدون لك رغبتهم في أن تشاركهم صباحهم، ويعرضون عليك أن تلعب معهم مباراة شطرنج، أنت (بحميميتك) تريد أن تبهجهم، تريد أن تشاركهم ساعاتهم بحب ينطلق من إنسانيتك، وتسعد كثيراً لأنك لن تحتاج إلى كتابك أثناء اللعبة، فقوانينها دولية متعارف عليها، ويحال أحدهم أن يشرح لك شيئاً قبل بدء اللعبة، ولكنك تهز رأسك وتبدي لهم معرفتك بكل شيء، فيتضاحكون ويجتمعون حولك، ويقوم أحدهم بتجميع عدة الحرب من خيول وقلاع ووزراء وجنود، ويتقدم أكبرهم سناً لمنازلتك، ولايزالون يحاولون أن يشرحوا لك شيئاً ما، تشعر بأنه خارج نطاق اللعبة، ولا تجده في كتابك الذي وضعته جانباً قبل بداية المعركة

فيخرج أحدهم مبلغاً من المال ويهزه أمامك، لا تدري ماذا يقصد ولكنك لا تهتم، فيبتسمون وينظرون إلى ساعتك اليدوية الثمينة، ويُكتبْ على الطاولة رقم طويل.

بدأت المعركة وأنت غير ذي خبرة في الحروب، فتحاول المقاومة وتبدو متقهقراً، وملكُكَ يصبح محاطاً بجنود وقلاع العدو بعد أن سقط وزيرُك تحت أقدام الفيَلة. الضحك والصراخ يزيدان مع كل نقلةٍ لك، والتصفيقُ يكادُ ينتشلُكَ من مكانك، ترى في وجوه المتفرجين سعادة غريبة، تشعرك بأن ما يحدث أكبر من مباراة للتسلية، وكأنهم سينتصرون على عدو لدود هذا الصباح، وتنقل ملكك إلى خانة قاتلة، ويسقط فينهض كبار السن ضاحكين مصفقين.

لقد غُلبت! تهم بالنهوض لترحل، فيمسك أحدهم يدك بعنف! تنقطع الأصوات، تبدي لهم استغرابك مما يحدث! فتجده يشير إلى ذلك الرقم الذي كُتب بجانب ساحة المعركة، تشعر بأن اللعبة لم تنته بعد! يريدون شيئاً ما؟ تفتح كتابك بحثاً عن كلمة ما تقذك مما أنت فيه! ولا تجد، فيحاولون تفسير ما حدث، تدرك بأنك لم تكن

تلعب للتسلية، المغلوب هنا يدفع وأنت بالتأكيد ترفض هذا المبدأ، ولكن لا خيار لك، فتخرجُ مبلغاً من المال مساياً للرقم الذي كتب على الطاولة، وتبحث في كتابك عن كلمة اعتذار لأنك لم تكن تعرف أصول اللعبة هنا في هذه الساحة وتبتسم لأنك دفعت قيمة إفطار العشرات هذا الصباح.

* * *

عبدالحليم البراك

(السعودية)، نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

انفصام

قبل أن أبدأ في محاضرتي، تجرعت حبتي استلازين، وكلمات الطبيب الإنجليزي الستيني تطن في أطني. «لاأحد يستطيع أن يساعدك يا بني غير نفسك، كل واحد مشغول بنفسه في هذا العالم. ساعد نفسك بنفكس. تناول العلاج باستمرار، وقاوم الأعراض بكل ما أوتيت من قوة». ألقى إلي بمجموعة من النصائح المعتادة.

اقتربت من (المايك)، وعدلت من جلستي، أعطيت إشارة للمراقِبة عبر المجتمع في جسدي المتعثر ينتثر على

عيني فتبقيان نصف مفتوحة. الطالبات المجتهدات يسألن دونما داعي يذكر.

إحداهن تسأل سؤالاً لا يفهم. وأخرى سألت سؤالاً جاءت كالصاعقة:

- كم رقم جوالك؟

لم أكن مستعداً لتوزيع هواتفي للطالبات، خاصة مع غيرة زوجتي غير العادية، (على من تغار؟ مريض نفسي!) أجبت:

- هاتف مكتبي هو ٣٠٦٩، أما الجوال، فهو موجود عند إدارة الكلية للضرورة القصوى.

ما إن انتهيت المحاضرة، حتى أشعرت إدارة الكلية بالأمر، يجب ألا يعطى الرقم، إلا في الضرورة القصوى.

بينما أهم بمغادرة غرفة الدائرة التلفزيونية المغلقة، أطلق جوالي زعيقه برقم مجهول:

- نعم، جاء صوت غير مألوف:

- عفواً، أستاذ حمد، كنت أرغب في الحديث عن نفسي، في موضوع أتمنى أن أحظى برأيك.

وقبل أن أنبس بجواب أردف:

- أستاذ حمد، أنا امرأة مطلقة للمرة الثالثة، لقد اشتريت طلاقي بمالي. في كل الحالات. المرة الأولى كان زوجي لا يطاق، وكان يعاقر أم الكبائر في بيتي. عشت معه في رعب، بسبب أصدقائه الذين يتناولون معه في بيتي. كنت أقفل على نفسي باب غرفتي، حتى يخرجوا من البيت. نفسي منهكة. مرمية في دركات الشقاء. بعدها تزوجت بآخر. لا ينجب، أحببته وأحبني، ولكن الإنجاب مهم أليس كذلك؟

- نعم، واعتصرني ألمُ في معدتي. بدوت كئيباً، (قاطعتني..).

- المهم أني طلبت الطلاق، ودفعت له كل شيء، بما فيه مصاريف أكلي وشربي في منزله. العمر يشترى بالمال!

- أممممم!

- والأخير تزوجته وهو يكبرني بثلاثين عاماً، لكنه لازال ينجب من زيجاته الأربع. المهم أننا لم نتوافق. فهو يريدين دمية بين يديه، كزوجته العجوز. ضربني عدة مرات، وضربته أنا..

شرفة

يأتيك صوت آذان الفجر، وأنت بين الغفو والصحو... تنتبه.. تهم من السرير... تفتح ضلفة «الشيش».. تجلس قبالة الشرفة، تتنسم هواء الصبح الندي..

تطل من وراء الأعمدة المعدنية، على شارع خال؛ لا تؤنسه سوى ظلال نور شاحب..

تبحث عن نس ما..

وبعد...... تعود إلى صفحات كتابك...

* * *

باستغراب، وقال بعد أن وضع يده على خده بقنوط ظاهر، وبعد أن صام هاتفي عن الرنين:

- هذه زوجتي، مريضة بانفصام الشخصية، لا أعرف كيف وصلت إليك! يبدو أن ابني فهد لم يعطها الاستلازين. أظنني مضطر إلى استلاف علبة دواؤك هذا الصباح.

* * *

سوسن عبدالملك

مصر.

قصة قصيرة جداً

واحدان

رجل وامرأة، والليل في أبهى ثيابه، يتألق في ضوء القمر المكتمل.

التقيا.. رجل وامرأة، والجوع يمزق أحشاء الاثنين.

في عناق لسحاب فضي، جلسا يحتسيان كؤوساً فارغة.

اقتربا.. رجل وامرأة، والشجر تميل.

تتدلى التفاحة فيشيع بريق بينهما.. ارتجفا.. امتدت يده ليقطفها.

قال: نقتسمها.. نطفئ غلتنا.. نتوحد.. ننتفض.. في نشوى الشبع.. نتألق...

قالت: قد نحيا قليلاً، ثم من الجوع نموت!

قال: نأخذ بذرتها، نزرعها؛ فتظل التفاحة حية.

قالت: وجذور الشجرة! هل تنسى؟

تمتد.. وتمتد.. تخترق الأرض.. تقتحم النهر.. فيزيد ويفيض؛ كي يروي الأرض.

رجل وامرأة.. والليل قد خلع ثيابه، وانبلج الصبح فتعرى.

والظمأ يحرق قلبين..

افترقاً.. ظلا واحدين..

وتظل التفاحة ناقوساً يدق ذاكرة الاثنين..

* * *

وائل وجدي

من مواليد 1962 (مصر). أصدر عدداً من المجموعات القصصية. منها: البداية (1987)، دبيب الروح (1999)، رائحة الأيام (2002).

قصص قصيرة جداً

بوح

امتطى صهوة الحرف، يحدق في وجع الروح، يلملم تلابيب نفسه، ويتوغل في سراديب الأعماق، يبحث عن دبيب الومضة، ويحلق في المدى.. يغزل ترانيم الجوى.

لعل الجذوة، تأخذه إلى الشاطئ المبتغى.

أنين

.. أبصر نفسه وحيداً.. يناجي الفراغ، المضفر الدفين.. أين بلدتي؟.. أين شمس الصباح؟.. أين نبع الحياة، التي كانت تفيض وتفيض؟ هل الغفوة تتملك أوصالي؟.. هل...

يشخص بعينيه إلى المدى.. اللون الأصفر الباهت ينتشر على رقعة البصر.

الطائرات تزمجر في الأفق مخلفة وراءها خيوطاً بيضاء متباينة الأشكال.

ساقاه تدفعناه إلى الأمام.. يحلق وحلق.. يرتطم ببقايا أشلاء بشرية، متناثرة..

يهفو إلى البراح، الذي يأمن إليه ويستظل به.

لمح مئذنة مسجد من بين أطلال المنازل الخربة، والغبار الكثيف..

ثمة فرحة، انسابت في شرايين فؤاده المكلوم.. دنا صوت الإمام، يقرأ: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**.

اتحد مع المصلين.. ودخل إلى ملكوت الصلاة.

براءة

كل صباح: زقزقة العصافير، تهدهد حشاه؛ فيجري حافي القدمين. خارجاً من بيته الطيني.

يدفع بابه الخشبي المتهالك؛ لينفذ من فرجة صغيرة.

يرفع رأسه إلى الجميزة، لعله يجد العصافير، لكن بعد المدى يعذر الرؤية.

يقفز إلى الترعة.. يسبح في الماء والطين. باحثاً عن السمكة!!

يتهادى إلى مسامعه صوت أمه:

– محمد.. محمد..

يصعد من الترعة، وينظر إلى ملابسه مبتسماً.

بريق

.. يجثو على الصخر، وترنو عيناه إلى زرقة البحر.. المدى البعيد، بعيد.. ويأخذ الموج، بتلابيب نفسه.. شيء ما يستبيه..

يعود إلى حضن جدته، وتحدثه. محذرة من عروس البحر، وعالمها...

يبتسم إليها وينتظر.

انشطار

ألق الشفق يتلألأ على صفحة النيل.. غدا بأوراقه الصفراء المعجونة بروحه ودمه.. يفك أضابيرها. يتصفح أفكاره المحبوسة بين السطور يدفع بها ورقة تلو الورقة إلى حضن النيل.. ويأخذ شهيقاً عميقاً: ويرحل...

انفلات

ارتقيت صاهلة شدوك، وبدا في الأفق وجهك الملائكي، وبسمة عينيك، المستحمة بضياء روحك.. دنوت إلى عتباتك شائق الخطو.. أسألك العون والمشورة، مكثت أرقب بوحك.. ثغرك صموت.. وتشيح بوجهك بعيداً بعيداً... ترجرج كياني، ذرفت دمعات سخينة تفيض. نحوت صخور التوحد.. ومضيت.

زهرة

بأناملها الرقيقة، تمسد شعر عروستها، وتطوقه بشريط وردي..

تضمها إلى صدرها، تهزهزها مرددة:

فلسطين عربية..

دوى انفجار شديد وتناثرت أشلاؤهما..

الليلة الأخيرة

غبش الفجر يتلاشى، وتقترب سكرات الموت من شهريار..

بنظرات ساهمة يردد: شهرزاد.. شهرزاد..

تضم رأسه إلى حضنها.. تمسح عرقه.. تلثمه، فتسقط دمعة..

يوميئ بعينيه.. تهمس في أذنه: شهرزاد في طوعك يا مولاي..

بحرف متكسرة: أ.. ح.. ك.. ي.

ذكرى

- تك.. تك.. تك..

تأتي من بعيد خافتة.. ويعلو صداها في نفسي، تؤنسني، تبعد وحشة الوحدة الليل، ومذاكرة الليسانس.

أنهض نافضاً السأم.. ألمح الحاج «سيد» جلبابه الأبيض طاقيته البيضاء، وعصاه صاحبة الطرقات الحميمة. أتابع خطاه المتئدة إلى مسجد الصحابة، أشخص إلى السماء؛ متأملاً النجم.. القمر.. السحب الداكنة.. يلفحني نسيم الفجر.

أعد إلى الأوراق وكوب الشاي.

معه

قبل ذهابي إلى العمل ملت إلى شارع «محمد محمود»؛ لعلي أجد كتاباً ابتاعه..

مكثت أقرأ العناوين: «الباقي من الزمن ساعة»، «يوم مقتل الزعيم»، «الفجر الكاذب»..

مددت يدي؛ لأخذ الروايات. في أثناء تصفحي فوجئت به يمر بجواري.

قامته متوسطة، يحمل تحت إبطه جريدة، يمشي بخطوات وئيدة. تابعته بنظراتي؛ حتى اختفى..

عدت إلى كتبه..

ألم

.. رفس بساقيه - اليابستين - بقايا الملاءة الممزقة..

وهم من نومه - المتقطع - متكئاً برأسه على عكازه الخشبي.. حابساً آلام جسده - المتداعي -؛ خشية إزعاج زوجته، الملتحفة بالجزء المهترئ من الملاءة..

ابنتاه؛ مدفوستان بينهما تلمساً للدفء...

سخونة «تسري في قدميه» تختلج منشدة الألم.. لم يعد يستطيع أن يخرس ألمه...... آه... آه.....

تداعيات...

طفل يأكل شوكولاتة بفرحة غامرة....

....

طفل يقضم كسرة خبز - جاف - ويتأوه من شدة البرد القارس...

....

طفل يروي الأرض بدمائه الزكية...

....

وعصفور يطير من محبسه محلقاً... في المدى الوسيع..

آيس كريم

امرأة تجلس على الرصيف تلعق آيس كريم.. ترقب الشارع...

تزم شفتيها وتومئ برأسها؛ لفتاة يشف ملبسها عن مفاتنها...

... وتعود - مر أخرى - تلعق آس كريم منتشية...

.. ترمق ببصرها شاب يطبع قبلة على خد فتاته؛ في سيارته الفارهة...

ومازالت المرأة تلعق آيس كريم...